مجلة الإسلام والتصوف

اقرأ فى هذا العدد للأساتذة

الدكتور محمد مصطفى حلمى	الأستاذ عبد الرحمن سلامة العطار
« محمد مظهر سعيد	« محمد على الطعمى
« عبد الحليم محمود	« سعيد مكرم
الأستاذ عباس محمود العقاد	« عبد المنصف محمود عبد الفتاح
« حسنى طه شكيبان	« عبد العزيز سعد فرج
« محمود محمد عماره	« محمد رشاد عطية
« محمود شلبي	« محمود عبد العزيز محرم
« محمد عيد الشافعى	« محمد محمود علوان

طه عبد الباقى سرور

مع الأبواب الثابتة . منهج التصوف
أخبـــار صوفية . قصص صوفى

العدد الثانى — السنة الثانية

الثمن ٥ قروش

صاحب المجلة
محمد محمود علوان
شيخ مشايخ الطرق الصوفية

رئيس التحرير
محمد صبيح

سكرتير التحرير
طه عبد الباقي سرور

مجلة
الإسلام والتصوف

مجلة أسبوعية تصدر شهرية موقتا
تصدر عن مشيخة الطرق الصوفية

"ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون"

الاشتراك
٦٠
في الجمهورية العربية المتحدة
٥
ثمن العدد
العنوان
مشيخة الطرق الصوفية
بميدان سيدنا الحسين
القاهرة
تليفون ٥١٣٩٣

العدد الثاني ، السنة الثانية ، أول يوليه سنة ١٩٥٩ م الموافق ٢٥ ذي الحجة سنة ١٣٧٨ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

من وحي الهجرة

لسماحة الأستاذ السيد محمد محمود علوان

إذا كانت أحداث الوجود تقاس بنتائجها وأيام التاريخ تتفاضل بآثارها فإن يوم الهجرة يرتفع بنتائجه ، ويتطاول بآثاره ، حتى يغدو أعظم حادث قرع سمع الحياة ، وأخلد يوم في جبين التاريخ .

فما عرفت الحياة الإنسانية يوماً أنجب تاريخا عريقا مضيئا ، وأوجد حياة عريضة شامخة ، وأبدع حضارة عالمية رحيمة عادلة ، سوى يوم الهجرة .

لقد كانت الهجرة ، البرزخ الذي عبره الإنسان إلى حياة التسامي والكمال كانت إنتقالا بالبشرية من الوثنية إلى التوحيد ، ومن الرق إلى الحرية ، ومن الشر إلى الخير ، ومن الظلمات إلى النور ومن الجاهلية الصنمية ، إلى الإنسانية الرحيمة .

كانت الهجرة هي بداية الإسلام

وفجر تاريخه كانت نموزجا كاملا للبطولة الفدائية التى اعتصمت بالمثل الأعلى ، وثارت على كل القوى ، وضحت فى سبيل فكرتها بكل عزيز وغال فى الوجود ، وعلى هذه المعانى السامية ، قامت عظمة الدولة الإسلامية ، وأشرقت أمجاد المسلمين ، الذين حملوا كلمات ربهم ، ورايه نبيهم ، ومثاليات قرآنهم واندفعوا فى أرجاء الأرض يملؤنها نوراً وعدلا وعلما وخيراً ، أنطلقوا قواداً فاتحين ، وولاة راشدين ، وعلماء هادين ، وعباداً خاشعين ، فلم تمض عشرات السنين حتى شهد العالم لأول مرة فى تاريخه ، أمة ربانية يمتد سلطانها من أعماق الصين إلى قلب أوربا ، وتمسك بيدها زمام القيادة العالمية .

أمة تآخى فيها الناس ، وتوحدت الأجناس ، وتساوت الألوان ، وتعاونت الطبقات ، وتكافأت الفرص واستقامت فيها موازين العدالة ؛ وسادت مثالية الأخلاق .

ولكل أمة أعيادها وأيامها ، وإذا كانت الأقلام الأوربية قد زيفت التاريخ وأنطلقت تدق طبولها العالية للثورة الفرنسية ، هاتفة بانها الصيحة الأولى التى نادت بالحرية والأخاء والمساواة ، وأنها الفجر الذى علا نوره أدركت الشعوب حقوقها فى الحياة

فإن تاريخنا ليشهد صادقاً بأننا كنا أول أمة حررت ضمير الفرد ووجدانه من سطوة الخوف والبطش المعنوى والمادى ، وأول أمة نادت بالأخاء الإنسانى ، والسلام العالمى ، وقدست حقوق الإنسان ، وجعلت التفاضل بالاخلاق لا بالمال ، وبالتقوى لا بالأنساب ، وبالعمل الصالح لا بالجاه والسلطان .

إننا الأمة التى قامت لتجعل من الإنسانية أمة واحدة لا تعرف عصبية الألوان ، ولا احقاد الأجناس ، ولا تحارب الطبقات ، ولا صراع الشهوات ، ولا استعمار المواد والخامات

وبذلك يرتفع تاريخنا ، ويرتفع يوم هجرة رسولنا ، فوق أحداث الحياة وأيام التاريخ .

إن عيد الهجرة ، هو عيد الجهاد ضد الظلم والجاهلية والعدوان ، عيد الثورة ضد الشرك والفساد والطغيان ، عيد الحرية المتقدسة المطلقة من كل قيد إلا قيد الشرف والأخلاق .

فإذا أردنا أن نحتفل بيوم الهجرة وأن نقتدى بوحيه وهديه ، إذا أردنا أن نحتفل إحتفالا صادقا نافعا صادرا من أعماق القلب ، لا من أطراف اللسان . فيجب أن نتطهر قلبا وروحا وعملا ؛ وأن نصعد باعمالنا إلى الأفق الأعلى .

يجب أن نجاهد لكمال أنفسنا ، ولسلام حياتنا ، ولعزة أوطاننا ، وأن نقاوم قوات الشر مهما عظمت ، وغلظ بأسها .

يجب أن نتحرر من الأهواء والنزوات ! والأغراض والشهوات ، وأن نعتصم بالأخـــلاق والعقائد والمثاليات .

وأن نهاجر فى ميادين الروح والقلب والحياة ، لنكون احرارا أتقياء ، أعزة أقوياء كما كان المسلمون وكما علمنا الرسول .

لقد هاجر نبينا عليه السلام ، متحديا الدنيا ، مجردا إلا من إيمانه وثقته بربه ، فكانت هجرته فتحاً ونصراً وحياة وخلودا .

كانت هجرته بداية لتلك الوثبة الكبرى التى أزالت كسرى من إيوانه وأدالت من قيصر فى جبروته ، وسلمت للمسلمين مفاتيح الأرض وكنوزها ومقاليد أمورها .

إن يوم الهجرة فى الإسلام كالآذان دعوة عالية الصوت تهتف بكل مسلم لتذكره بجهاده وأمجاده . وإذا كان من واجبنا المقدس أن نلبى دعوة المؤذن إلى الصلاة ، فإن من واجبنا المقدس أيضاً ، أن نلبى صوت الهجرة ومايلهم هذا الصوت ومايوحى به .

وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين

محمد محمود علوان

عصره . . وحياته

بقلم الأستاذ
طه عبد الباقي سرور

— ٢ —

فجر التصوف وضحاه :

مع مكانة التصوف الكبرى فى الفكر الإسلامى ، وماقدمه للحياة الإسلامية فى شتى مراحلها . من مناهج المعرفة والأخلاق والسلوك الاجتماعى وما أفاض على الثقافة الإسلامية ، من معان مشرقة عالية ، فى كل مايتصل بالروح والقلب ، وصلة الإنسان بخالقه وسيره إلى محبته ورضوانه ، وما أبدع فى هذا السير من أحوال ومقامات ، وأذواق ومشاهدات وإلهامات ، سهمت فى تعميق المعانى القرآنية واتساعها وشمولها .. كما سهمت فى تكوين تلك الحياة الروحية التى أصبحت من أكبر العناوين المتلألئة ، فى جبين الدعوة الاسلامية ، وفى أفق رسالتها العالمية .

مع هذه المكانة الضخمة ، لاتزال الأقلام قلقة مضطربة ، وهى تتناول نشأة التصوف وتدرجه فى التاريخ الإسلامى .

وسر هذا الاضطراب ، أن كتب الطبقات الصوفية ، لم تضع منهجا علميا لتاريخ الحياة الروحية فى الإسلام ، فقد اعتبرت أئمة الصحابة جميعا من رجال الطبقات الصوفية ، ومن ثم اعتبرت بداية الإسلام ، هى بداية التصوف ؟

وجاء رجال التاريخ الإسلامى ، وجلهم من الحنابلة الذين خاصموا منهج التصوف فى المعرفة والسلوك ، فلم تتجه أقلامهم إلى تدوين تلك الحياة الخصبة المثمرة ، بل ألقوا عليها ستارا ،

ولم يرجوا لها وقاراً !!!

ثم جاء رجال الاستشراق فى عصرنا ، فبذلوا جهوداً ضخمة فى دراسة التصوف الإسلامى ، ورجاله وتراثه .

ولكن هذه الجهود الضخمة ، شابها وشوه من جلالها ، عقدة نفسية ، تحملها أقلامهم ، وتستقر فى أعماق قلوبهم ، وتدفعهم دفعاً إلى تصوير التصوف الإسلامى ، فى أثواب مستعارة من الملل والنحل الروحية ، شرقية وغربية . وتدفعهم دفعاً إلى تحميل الكلمات والآراء أكبر مما تطيق ، وأوسع مما تحتمل ، ليضفوا على التصوف الإسلامى ، صوراً غنوصية غامضة ، من صور الغنوص الشرقى ، الذى يستهوى رجال الاستشراق ، وشعوب رجال الاستشراق .

وتابعهم وجرى فى ساحتهم فريق كبير من كتابنا ، بحكم التلمذة لهم حينا ، وبحكم التشدق بآراء مفكرين أوربيين أحياناً ، وبحكم جهلهم بالإسلام والتصوف أولا وقبل كل شىء .

ولسنا هنا بصدد التأريخ لهذه الحياة ، وإنما نحاول أن نرسم خطوطاً لها فى نموها وتطورها ، تعيننا على تفهم منهج الحلاج الروحى ، وصلة هذا المنهج الحلاجى ، بالإسلام والتصوف ، أو مجانبته لهما .

لقد وجد الروح الصوفى مع الإسلام منذ يومه الأول ، وليس معنى هذا ، أن الأذواق والمواجيد ، القلبية والروحية ، والمناهج الصوفية ، سلوكا ومعرفة ، كانت واضحة جلية ، فى أيام الإسلام الأولى ، وفى حياة أئمة الصحابة رضوان الله عليهم ، ففى هذا الزعم إسراف ومجانبة للحقائق .

ولكننا لو تأملنا فى آيات القرآن المحكمة ، وفى حياة الرسول الطاهرة ، وسير صحابته المشرقة ، نجد البذور الأولى ، للسلوك الصوفى ، وللمعرفة الروحية ، مبينة متلألئة .

وليس التصوف بدعاً فى هذا ، فكل منهج من مناهج المعرفة فى الإسلام ، انبثق كما انبثق التصوف من روح القرآن ، وجوهر رسالته ، وبدأ كما بدأ التصوف مع الإسلام ، ثم نما وتطور ومشى مع خطو الحياة ، وسنة الله .

فإننا مثلا نستطيع أن نقول مع الفقهاء ، إن الفقه نشأ مع الإسلام ، وليس معنى هذا القول أن التفريعات الفقهية ، والاستنباطات والمصطلحات الفنية ، كانت فى صدر الإسلام . .

وفى الكتاب والسنة ؟ وإنما كانت هناك البذور الأولى ، والمادة الأولى ، التى نمت وتطورت ومشت مع الحياة.

كان التصوف موجوداً فى صدر الإسلام بروحه وهديه ، وآدابه وخلقه ، وترفعه وزهده ، وعباداته وطاعاته ، وذكره ومناجاته ، كان موجوداً بجوهره لا بمصطلحاته ، وقائماً بكلياته لا بجزئياته .

كان التصوف فى صدر الإسلام . هو هذا الروح الدينى المهيمن المسيطر على حياة المسلمين كافة ، الموجه لحركاتهم ، وسكناتهم ، الصاعد بأعمالهم ونواياهم ، إلى خالقهم ومولاهم .

كان هذه الرقابة الحية اليقظة التى أقامها كل مسلم فى أعماقه ، ليراقب ما توسوس به نفسه ، ومايصطرع فى قلبه ، ومايتواثب فى نفسه ، ومايخفى صدره ، وما تطرف به عينه .

كان هذا الترفع الشامخ عن شهوات الدنيا وزخرفها ، والاعراض عن بريقها وفتنتها ، والزهد فى ترفها ومظاهرها ، والتسامى بكل ما فيها إلى وجه الله ، حتى يظفر بحبه ورضاه ، وقربه وهداه ، لأن الدنيا لاتزن عنده جناح بعوضة ، ولأن الآخرة خير وأبقى .

ثم مشت الحياة بالمسلمين ، وفتحت عليهم الدنيا ، وابتعدت مسامعهم عن نغمات الوحى وتفرقت قلوبهم عن المثياق والعهد ، وانحلت العزائم ، وفترت الهمم ، وتسارع الناس إلى المال والجاه ، ولهو الحياة ، ونشأت الفتن ، واختصموا على الملك ، وتصارعوا وتباغضوا ، وتشعبت بهم السبل .

ونشأت تبعاً لذلك ، حركات مضادة ، ورسالات مجاهدة ، صمدت فى وجه العاصفة . . ويحدثنا تاريخ النصف الثانى من القرن الأول للهجرة ، عن وعاظ ومرشدين ، وقفوا على أسوار القرآن ، ومعالم السنة ، ينذرون الناس ويدعونهم إلى ربهم ودينهم ، تميزهم شجاعة نفسية عالية ، أعانتهم على مواجهة الجبروت والاستبداد الذى بدأت طلائعه فى أفق الحياة الإسلامية .

وبجوارهم رأينا طائفة من الزهاد ، الذين وقفوا فى وجه فتنة الترف والإسراف ، وأخذوا يديرون لحونهم وأحاديثهم ، حول فضائل النفس ، وآداب الحس ، وتزكية الجوارح ، والزهد فى الدنيا ، وهوان أمرها ، وزوال نعيمها ، وضلال شهواتها .

ثم رأينا العباد المتبتلين ، الذين انقطعوا إلى طاعة الله ، وعبادته وذكره ، وأحالوا الكون إلى محاريب للصلاة والمناجاة ، ومنابر للتحدث عن نعم الله ، وعن عظمته وجلاله ، والأنوار التى يفيضها على الساجدين المتطهرين .

ومن هؤلاء وهؤلاء ، تكون الرعيل الأول ، من الصفوة الربانيين الذين عرفوا فى التاريخ باسم الصوفية أو كما يقول ابن خلدون :

« اختص المقبلون بانفاسهم على الله باسم الصوفية »

ثم ابتدأت تتكون لهذه الطائفة ثقافة إيمانية ، لها لونها وطابعها وخصائصها الفنية .

ثقافة تدور حول ذكر الله والهاماته ومجاهدة النفس ، وما ينبثق من هذه المجاهدة ، من آداب السلوك ، ومقامات السير ، ويتوج كل هذا ، الصلة بالله سبحانه ، وما يترقرق حول هذه الصلة ، من أذواق ولحون ، ومواجيد وأشواق ، ثم ثمرة هذا كله ، وهو المعرفة الباطنية ، وما تفيض هذه المعرفة من علوم وأنوار

ومن ثم بدأت الحياة الروحية ، تنفصل عن الحياة العامة ، وتستقل بمناهجها ومعارفها ، وابتدأ الصوفية يصطنعون كلمات تحدد اذواقهم ، وتعبر عن شعورهم . . وأخذ أفق هذه الكلمات يتسع لمعان متعدده ، وكانت كل كلمة تضاف إلى التصوف ، تفتح أفقا جديدا ، وتكون نبعاً متدفقاً ، وتتناولها السنة الصوفية ، فتفتقها وتبتدع لها صورا والوانا وأذواقا .

ثم أخذوا يكونون لهم فلسفة فى الأخلاق ، وفى السلوك ، وفى العبادة وأخذوا يجردون الأسباب من قوتها ويرجعون كل شىء إلى الله سبحانه ، فاكسبهم ذلك عزة خلقية ، وسعادة روحية ، قوامها الرضا بقضاء الله وقدره ، واليقين بان لا سلطان لقوة من قوى الأرض على مصائرهم وحياتهم ، أو كما يقول ابراهيم بن أدهم « نحن فى لذة لو عرفها الملوك لقاتلونا عليها بالسيف »

كما أفاضت عليهم الثقة بالله والتوكل عليه ، شجاعة نفسية ، وقوة إيمانية لا تسامقها قوة ولا شجاعة ، يقول اسحاق بن ابراهيم السرخسى : « سمعت ذا النون المصرى ، وفى يده الغل ، وفى رجليه القيد ؛ وهو يساق إلى المطبق ، والناس فى بغداد يبكون

حوله ، وهو يقول : هذا من مواهب الله تعالى ، ومن عطاياه ، وكل فعله عذب حسن طيب ،

تلك الشجاعة الصوفية التى ستبلغ ذروتها فى البطل الشهيد الحلاج ، حينما صمد للمأساة صموداً لا يطاوله . فى التاريخ صمود .

هذه خلاصة سريعة للمعارف الصوفية ، فى القرن الثانى للهجرة ، ثم جاء القرن الثالث ، فبدأ معه العصر الذهبى للتصوف ، أو عصر النضوج العلمى للحياة الروحية .

وفى مطلع هذا العصر ، أخذت معانى الحب الإلهى ، الذى سمعنا جرسه لأول مرة فى الحان رابعة العدوية ومواجيدها ، أخذت معانى هذا الحب تتسع وتتلون بها المقامات والأحوال وأخذت كلمات الأنس والبسط والرجاء والخوف ، واليقين والمشاهدة ، تشيع وتؤتى ثمارها ، وتدرجت على أجنحة الحب ومعارجه حتى وصلت بالصوفية إلى مقام الفناء ، وهو أخطر مقامات التصوف وأبعدها أثراً فى تاريخه .

والفناء هو غاية الصوفية ففيه يشربون رحيق الحب الأعلى ، وينعمون فيه بمتع ولذائذ روحية ، تنسيهم دنياهم وأخراهم ووجودهم ، وكل شىء سوى المحبوب .

والحب أساس الأحوال الصوفية وقد اعتبر كما يقول « السهروردى » أساساً للاحوال ، كالتوبة بالنسبة إلى المقامات ، فمن صحت توبته على الكمال تحقق بسائر المقامات ، من الزهد والرضا والتوكل ، ومن صحت محبته ، تحقق بسائر الأحوال ، من الفناء والبقاء والصحو والمحو (١)

ومن الحب تنشأ المعرفة والمشاهدة ولذة المعرفة والمشاهدة ، وفى الحب يتمتع المحب بالجمال المقدس ، وياله من جلال وجمال ؛ ونشوة الحب الكبرى ، تسمى سكراً ، والسكر علامة الصدق فى الحب وهو نشوة روحية لا يمكن تصورها إلا بالتجربة كما يقول الأمام الغزالى ، ولذلك قالوا : من ذاق عرف (٢)

---

(١) عوارف المعارف ص ٣٥٠ .

(٢) احياء علوم الدين ج ٤ ص ٢٦٩ .

وهذا السكر الروحى ، حدقة يرى بها الصوفى، حقيقة الكون وسر الخلق يقول معروف الكرخى «إذا انفتحت عين بصيرة العارف نامت عين بصره فلا يرى إلا الله »

ونهاية السكر هو الفناء . وفيه يفنى المحب عن الموجودات ويتجه بكليته لمطالعة وجه المحبوب .

والفانى كما يقول الصوفية : لا يحس بما حوله ، ولا يحس بنفسه ، فقد فنى عما سوى الله ، ومن هنا جاء كلام الصوفية الذى لا يفهمه ولا يتذوقه سواهم ، حينما يقولون ، فى نشوة الفناء ووقدة الحب : « ليس فى الوجود إلا الله » .

إنها تجربة عليا ، تجربة ذاتية فى عالم الروح والسر ، تجربة كان أقوى وأجرأ من تحدث عنها «الحلاج» حينما بلغ الذروة العليا لمقام الفناء ، أو مقام الاتحاد ، وحينما ابتدع الحلاج من هذا المقام معارف صوفية تتحدث عن وحدة الأديان ، والنور المحمدى ، ووحدة المحب والمحبوب .

ويأتى بعد مقام الفناء ، مقام البقاء ، ويأتى بعد الوحدة مقام الجمع وبعد الجمع مقام التفرقة ؛

ومقام الجمع ، هو رؤية الحق بلا خلق ، وهى حالة وجدانية ، أو حالة دهشة وغيبة ، مع فقدان الإحساس بالأشياء وبالنفس .

والمحب هنا يعزل نفسه عن صفاتها ، بأن ينظر ، وكأنه بمثابة النظر لا الناظر ، ويسمع ويعى وكأنه بمثابة السمع والوعى ، لا السامع والواعى ، ويتكلم وكأنه بمثابة الكلام لا المتكلم .

إنه مقام إشارة ، إلى حق بلا خلق . . . وحالة الجمع هذه هى الحالة التى قال فيها الصوفية ، الكلمات الجريئة التى عرفت ، باسم « الشطح » والتى هوجم التصوف والصوفية من أجلها ، وتضرب الأمثال بكلمة أبى يزيد البسطامى « سبحانى » وبقول الحلاج : « أنا الحق »

وقد قيل لشيخ الطائفة الجنيد : « إن أبا يزيد يسرف فى الكلام فقال: وما بلغكم من إسرافه فى كلامه ؟ قالوا سمعناه يقول : سبحانى .. سبحانى .. أنا ربى الأعلى . . . ؟

فقال الجنيد : إن الرجل مستهلك فى شهود الإجلال ، فنطق بما استهلكه لذهوله عن رؤيته إياه ، فلم يشهد

إلا الحق تعالى ، فنعته فنطق به [1] .

ويعتبر كبار الصوفية ، مرحلة الجمع هذه ، أدنى مما يجب أن يكون عليه الكمل من المحبين الذين يجب أن يتحققوا بما يسمونه : جمع الجمع : أو « صحو الجمع » أو « الفرق الثانى » .

وهى مرحلة تعقب مرحلة الجمع السابقة ، ويجمع الصوفى فيها بين الجمع والفرق معا ، لأنه لا بد للعبد منهما ، فان من لا تفرقة له ، لا عبودية له [2]

وحالة جمع الجمع هذه ، حالة وعى وصحو وإدراك ، مع بقاء المعرفة الصوفية التى كانت فى حال السكر ، فلا يزول عن صاحب المقام إدراك الوحدة ، إذا نظر إلى الكثرة ، أو إدراك الكثرة إذا نظر إلى الوحدة .

وهذه حالة فيها جمع من وجه ، وتفرقة من وجه ، فالجمع باعتبار الشعور بالوحدة ، والفرق لادراك الخلق ، وصور الكون كما هى .

ومن المتحققين بهذا المقام أبو القاسم الجنيد . ويقول فى هذا المعنى :

وتحققتك فى السر م فناجاك لسانى
فاجتمعنا لمعان وافترقنا لمعان
إن يكن غيبك التعـ ظيم عن لحظ عيانى
فلقد صيرك الوجد م من الأحشاء دانى

فالجنيد يجمع لمعان ويفرق لمعان وهذا هو جمع الجمع ، وحال العارفين الكمل المحلقين على أجنحة الوجد .

ومقامات التصوف ومعارفه ومناهجه ، أفق يتلألأ جمالا وكمالا ، أفق صاغه الإلهام ، وفتق جوانبه الإيمان . وشيد سماواته الحب الإلهى وما يفيض هذا الحب من مشاهدة يقينية ، وعلوم فيضية ومنح ربانية .

أفق مترامى الأبعاد ، تعجز العقول المادية الأرضية عن ارتياده ، واكتشاف اسراره ، والاهتداء إلى أنواره .

إنه أفق لأصحاب العقول والأذواق الذين صفت ارواحهم بالطاعة ، ورقت بالمجاهدة وشفت بالمحبة وسمت بالاصطفاء ، حتى شهدت بالاجتباء ، مالا عين رأت ، وسمعت مالا إذن سمعت ونعمت بما لم تنعم به القلوب التى لم تبرح نطاق الماء والطين .

والقرن الثالث للهجرة يعتبره الصوفية أكبر وأخطر مرحلة فى تاريخ الحياة الروحية .

إنه العصر الذى بلغ فيه التصوف

---

(١) شطحات الصوفية ص ٦٨ (٢) التعريفات للجرجانى ص ٥٣

ضحاه واكتمل نموه وشيد صرحه ، وتدعمت مدارسه .

العصر الذى شهد الأعلام الأئمة الكبار الذين يدين لهم التصوف بخطوطه العريضة المضيئة . . العصر الذى عاش فيه ، الحارث المحاسبي (ت سنة ٢٤٣ هـ) سيد المتحدثين عن دقائق ورقائق المحاسبة والمراقبة ، وذو النون المصرى (ت ٢٤٥) أكبر المتكلمين عن أسرار المقامات والأحوال ، وأبو اليزيد البسطامى (ت ٢٦٤ هـ) بتحليقاته والهاماته فى مقامى الحب والفناء وأبو سعيد الخراز (ت ٢٧٧ هـ) استاذ مدرسة السلوك القلبي والخلق المثالى ، وسهل بن عبدالله التسترى (٢٨٣ هـ) مربى العارفين القانتين وشيخ الطائفة وإمامها . أبو القاسم الجنيد (ت ٢٩٧) الحجة الذائق الواصل فى مقام التمكين .

وأخيرا الشهيد الحسين بن منصور الحلاج الذى بلغ به التصوف كما يقول « ماسنيون » اقصى درجاته الفنية . وتحقق فيه الرمز الأعلى للصوفى المحب الفانى .

والحياة الصوفية فى القرن الثالث الهجرى بكل ما فيها من عظمة واشراق وأسرار فى المقامات والاحوال . وبكل ما اشتملت عليه من محبة وفناء ومشاهدة وفرق وجمع وفتح وجهاد فى سبيل الكمال . واستشراف للمثل الأعلى .

كل هذا نشاهده مبينا واضحا مصورا فى حياة الحلاج . ونضاله وصراعه واستشهاده .

بل إن الحلاج ليعرض علينا آفاقا قلبية ، ومعارج روحية والوانا من الحب الإلهى والهاماته وما فيه من شوق ووجد وعذاب وحرقة وتقلب فى ملكوات ، المشاهد والأنوار ، لا نراها عند غيره .

لقد انبثق الحب الأعلى . الحب الأعظم فى قلبه ووجدانه وحسه ودمه وكيانه فاذهله وحيره وافناه عمن سواه حتى لنراه فى أسواق بغداد بقامته الفارعه ولونه الأسمر الجميل . وسمته المهيب ومنطقه الساحر وهو يهيم على وجهه وقد صرعه حبه وهو يصيح :

« يا أهل الاسلام . أغيثونى ؟ فليس — أى الله — يتركنى لنفسى فاتهنى بها ؟ وليس يأخذنى من نفسى فاستريح منها وهذا دلال لا أطيقه » .

طه عبد الباقى سرور

صفحات ونفحات

يا حبيبي يا رسول الله

بقلم
الدكتور: عبد المنعم مصطفى حليمي

أستاذ الفلسفة الإسلامية والتصوف بكلية الآداب بجامعة القاهرة

يا رسول الله يا خير الورى ... ما لقلبي عن هيامي فيك لي
ليس يخلو منك يا كل المنى ... خاطري والحال إحدى حجتي
وبرغمي يا حبيبي أن أرى ... لسوى طيبة أزجي قدمي
يا حياة الروح يا ري الظما ... يا حبيب الله يا ساقي الحمى
جئت بالفقر وحبي مذهبي ... والتخلي فيك إحدى حلتي
وبقلبي ما بقلبي من هوى ... وغرام لسبا مني الحشى
ومرادي ليس يخفى والوفا ... منك يحيي من طواه الهجرطي
مسني جدب وقد لظ الظما ... وكفى ما قد جرى من محجري
فتداركني وكن لي شافعا ... ببلوغ السؤل من مرأى ودي
وبتحقيق الرجا من فضله ... ببلوغ القصد منه في بني
ووفا مغفرة شاملة ... لذوي القربى ومن أسدى إلي
وامتنان بالرضى عن سادتي ... ثم من بعدهم عن أبوي

[السيدة عائشة الباعونية الدمشقية]

ما أهدى سيرتك يا حبيبي يا رسول الله ربك ومع كتاب ربك ، فكان لي
وما أزكى سريرتك يا أحب أحباء منهما نعم المعين الذي لا يخذل المستعين
الله ، وما أجلى بصيرتك يا أصفى به ، ونعم المعين الذي لا يظمأ الناهل
أصفياء الله : لقد وقفت بالأمس مع منه ، وها أنذا أقف اليوم معك

مستوحيا أسرار رسالتك ، ومستهديا أنوار نبوتك ، ومستلهما سيرتك العطرة وحياتك النضرة ، فإن لى من هذا كله القدوة الصالحة ، والأسوة الحسنة . فليس من شك فى أنك فيما صدر عنك من أقوال وأفعال وأحوال مثل أعلى ، كما أنك فيما تحليت به من شمائل وفضائل مورد أحلى . وليس من شك أيضا فى أن الله عز وجل قد قومك أحسن تقويم وخصك بأكرم تكريم ، وفطرك على خلق عظيم . وليس من شك بعد هذا كله فى أنه ما اقتدى بك مقتد ولا اهتدى بهديك مهتد ، إلا كان بمنجاة من غوائل المحن والخطوب ، وبمأمن من عوادى الفتن والكروب .

لقد وقفت مع سيرتك يا رسول الله ، وتدبرت ألفاظها ومعانيها ، وتبينت مبادئها ومراميها ، فإذا هى سيرة محب أحب الله فاهتدى بهداه ، وسيرة محبوب أحبه الله فاجتباه وأصطفاه ، وإذا هو عز وجل يتخذ منك رسولا وصفيا ، ويجعل منك خليلا ونجيا ، ذلك بأنك — يا أحب أحباء الله إلى الله — قد حييت حياة روحية خالصة لوجه الله ، فلم تخش أحدا من خلق الله ، ولم تفرط فى حق من حقوق الله ، وإنما أسلمت وجهك لله ، وتوكلت فى أمرك على الله ، وأحققت الحق . وأزهقت الباطل فى سبيل الله ، فكانت حياتك بهذا كله حياة جهاد وصبر أقيمت على دعائم من الخلق القوى ، والايمان النقى : جاهدت النفس والشيطان ، وجاهدت الإثم والعدوان ، وجاهدت البغى والطغيان ، وجاهدت الظلم والظالمين ، وجاهدت الشرك والمشركين وصبرت على أذى المستهزئين الذين ضلوا فانحرفوا ، وآذوا فأسرفوا ، وأخذوا يدبرون لك ويأتمرون بك ويحاولون النيل منك وأنت كما أنت ، صامد صابر محتسب ، لا تيأس ولا تبتئس ولا تكتئب ، ولا تشكو إلا إلى الله . ولا تستعين إلا بالله . ولا تعتمد فى مجاهدتك أعداء الحق إلا على الله . وما فتىء القوم يتمادون فى الشر ويغرقون فى البغى ويمعنون فى الإستهزاء ويسرفون فى الإيذاء وما فتئت تقيم على أمر الله وتؤدى إلى قومك النصح والإرشاد من لدن الله وتأخذ نفسك باحتمال ما تلقى منهم من التكذيب والأذى والاستهزاء حتى أنزل الله سبحانه عليك قوله :

« فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين . إنا كفيناك المستهزئين

الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون » .

وها هى ذى سيرتك يارسول الله قد استلهمت صفحاتها واستروحت نفحاتها . فاذا أنا أجد فيها عظتى وعبرتى وأتخذ منها قدوتى وأسوتى . وألتمس عندها عضدى وقوتى، وعزائى وسلوتى ، وذلك من ثنايا ما اشتملت عليه من الأسرار الإلهية . وما فاضت به من الأنوار القدسية وكل أولئك إنما هو آيات مشرقات ودلالات صادقات على أن الله ما كان لينصر عليك المشركين الضالين . ولا الظالمين الآثمين . ولا الباغين الطاغين . وأنت ما أنت من دعوة إلى الحق المبين ، ومن تمسك بالكتاب الذى أنزله رب العالمين . هدى ورحمة للمتقين . نعم لقد أوذيت وحوربت واستهزىء بك وسخر منك وأريد بك الشر والقتل أكثر من مرة وأنت فى كل مرة تحرسك عناية الله ياحبيب الله وصفيه وتحفظك رعاية الله يارسول الله ونحيه ذلك بأن ربك هو الحق . ودعوتك هى دعوة إلى الحق . وأنت فيما تدعو إليه وتتمسك به إنما تدعو إلى الحق وتتمسك بالحق وخصومك طغاة بغاة وبالباطل سعاة ودعاة ، ولا يمكن أن يظهر باطل خصومك على حقك وحق ربك ولا أن تغلب ظلمة شركهم وشكهم على نور توحيدك ويقينك . ومن هنا كان ما كان من تأييد الله لك وإنعامه عليك ، وأى شىء أدل على هذا الانعام وذلك التأييد من قصص المستهزئين معك . ومن خذلان ربك لهم وإظهاره لك عليهم .

فهذا هو أبو جهل وقد كان أشد المستهزئين وأمعن المعتدين . لقد قال يوماً : يامعشر قريش إن محمدا قد أتى ما ترون من عيب دينكم وشتم آلهتكم وتسفيه أحلامكم وسب آبائكم . إنى أعاهد الله لأجلسن له غدا بحجر لا أطيق حمله فاذا سجد فى صلاته رضخت به رأسه فاسلمونى أو امنعونى وليصنع بى بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم . فلما أصبح أخذ حجراً كما وصف ثم جلس لك يا رسول الله ينتظرك . وغدوت عليك السلام كما كنت تغدو لصلاتك وقريش فى أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل . فلما سجدت عليك السلام احتمل أبو جهل الحجر وأقبل نحوك . حتى إذا دنا منك رجع منهزما ممتقعا لونه من الفزع ورمى حجره من يده فقام إليه رجال من قريش فقالوا : ما لك

يا أبا الحكم ؟ قال : قمت إليه لأفعل ما قلت لكم ، فلما دنوت منه عرض لى فحل من الإبل والله ما رأيت مثله قط ، هم بى أن يأكلنى . ولما ذكر ذلك لك يا حبيب الله ويا مؤيدا بروح من عند الله . قلت : ذاك جبريل ولو دنا لأخذه .

وهؤلاء هم الوليد بن المغيرة وأمية ابن خلف وأبو جهل بن هشام ، قد مررت بهم يا رسول الله ذات يوم ، فإذا هم يغمزون ويهمزون ، ويسخرون ويستهزئون ، ولكن ربك الذى نصرك وخذلهم ، وأعزك وأذلهم ، ووعدك وتوعدهم ، أنزل عليك قوله : « ولقد استهزىء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون ، قل سيروا فى الأرض ثم أنظروا كيف كان عاقبة المكذبين » .

وهذا هو أمية بن خلف ، ما كان ليراك إلا همزك ولمزك ، ولكن مولاك الذى حفظك ورعاك ، هدده وتوعده بالويل وسوء العقبى ، بقدر ما أمنك ووعدك وكتب لك الحسنى وذلك فى قوله تعالى : « ويل لكل همزة لمزة الذى جمع مالا وعدده يحسب أن ماله أخلده . كلا لينبذن فى الحطمة وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة التى تطلع على الأفئدة ، إنها عليهم موصدة فى عمد ممددة » .

كل أولئك وكثير غيره صفحات مشرقة ونفحات متألقة ، من سيرتك العطرة ، ما ألممت بهـا ولا وقفت عندها ولا أعملت عقلى فيها ولا ملأت قلبى بمعانيها ولا استنرت بها كلما غشيت الغواشى ولا فزعت إليها كلما عدت العوادى إلا أصبت منها غذاء لقلبى وعزاء لنفسى وإلا ألفيت عندها الضياء الذى يبدد الظلمات ، والدواء الذى يفرج الكربات ، والقوة التى يستمد منها المظلوم عونه على محو الظلم وتشتيت شمل الظالمين ، والعبرة التى يستهديها المهضوم فيما هو بسبيله من صد الهاضمين . وكيف لا يكون ذلك كذلك وكل أولئك إنما يستمد من مشكاتك ويلتمس من نفحاتك وأنت يا حبيبى يا رسول الله . ويا أحب أحباء الله الى الله . كما وصفك وبين فضلك البوصيرى حيث قال : —

بمدح المصطفى تحيـا القلوب ... وتغتفر الخطـايا والذنوب

وأرجو أن أعيش به سعيداً ... وألقـاه وليس على حوب

نبي كامل الأوصاف تمت محاسنه فقيل له الحبيب
يفرج ذكره الكربات عنا إذا نزلت بساحتنا الكروب
مدائحه تزيد القلب شوقا إليه كأنها حلى وطيب
وأذكره وليل الخطب داج على فتنجلى عنى الخطوب
وصفت شمائلا منه حسانا فما أدرى أمدح أم نسيب

وكيف لا يكون ذلك كذلك أيضا وأنت يا حبيبى يا رسول الله ويا أصفى أصفياء الله . كما صورتك السيدة عائشة الباعونية الدمشقية حيث قالت :

أحمد الهادى إلى دين الهدى ببيان محكم من عند حى
ونبي من قديم كم رووا فى علاه من حديث يا بنى
خير مبعوث تحت أنواره بصباح الرشد عنا ليل غى
بدر أفق القرب شمس الاصطفا زينة الدارين عين العالمى
صاحب الآى التى عن بعضها قصر العقل وأزوى أى زى
له الجاه الذى لا ينبغى لسواه يوم تطوى الأرض طى
أسعفت ألطاف طه المصطفى بمرادى يا فؤادى قم تهى
مدنى منه بفيض شامل فالمنى من راحتى فى راحتى

وإذا كانت تلك هى صفحاتك التى تدبرتها ، ونفحاتك التى تدبرت بها . وكنت أرجو أن أستظل دائما بظلك وأن أنهل أبدا من فضلك فماذا عساى أن أصدر فيه عن ولائى وذات قلبى وأن أعبر به عن رجائى ووفائى وحبى . إلا أن أردد قول شاعرك حسان وأن أرجو رجاءه الذى تضمنه هذان البيتان :

وليس هوائى نازعا عن ثنائه لعلى به فى جنة الخلد أخلد
مع المصطفى أرجو بذاك جواره وفى نيل ذاك اليوم أسعى وأجهد

أما بعد :

فسلام عليك تترى من الله وتبقى به لك البأواء.
وسلام عليك منك فما غيرك منه لك السلام كفاء.
وثناء قدمت بين يدى نجواى إذ لم يكن لدى ثراء.
ما أقام الصلاة من عبد الله وقامت بربها الأشياء.

(محمد مصطفى حلمى)

علم النفس والإسلام

للدكتور محمد مظهر سعيد

الشخصية :

تتدخل فى تكوين سلوك الإنسان وخلقه ومن ثم شخصيته عوامل كثيرة ذكرنا منها نشأته وبيئته وأثرها فى غرائزه وانفعالاته وعواطفه وعقليته ومزاجه ولما كانت ظروف الناس مختلفة وأستعداداتهم الطبيعية متباينة — كما وأن اتفقت كيفا ونوعا — لزم أن يكون للناس شخصيات متعددة بتعدد هذه العوامل ، فقد يتميز أحد الناس بناحية خاصة تطبع أعماله وتصرفاته ومعظم أنواع سلوكه ومعاملاته مع الناس بطابع خاص يصبح ميزة له تعرف فيه أو صفة يوصف بها ، فنقول عنه أنه قويم الخلق أو مستأصل أو حاد الطبع أو عصبي أو كثير المرح والمزاح . وقد يتغلب عامل من العوامل أو نوع من أنواع الاستعدادات على الأنواع الأخرى ويطغى عليه بحيث إذا أردنا أن نصف صاحبه أو نصوره أو نتمثله تحدثنا عن هذه الناحية وحدها ولم يلفت نظرنا شيء فى النواحى الأخرى ، كأنها لا وجود لها ، فنقول عن فلان أنه واسع الاطلاع أو جبار العقلية أو مستبد برأيه أو سريع التقلب فى الرأى ، وما إلى ذلك من الصفات التى تدل على نوع خاص فى العقلية . أو يتكلم عن خلاف من الناحية الوجدانية وحدها فنقول أنه أنانى محب لذاته أو سريع الغضب أو شديد الإخلاص لأصدقائه ، أو متيم فى حبه أو متعصب لدينه ومبدئه وهذه كلها صور لأشخاص تغلب فيهم الناحية الوجدانية .

ولكن جميع هذه الصفات والصور الجزئية إن عبرت عن ناحية أو بعض نواح فى تكوين الإنسان فإنها تقصر عن أن تعطينا صورة صحيحة كاملة لنواحى الشخص الذى نتحدث عنه وأسباب سلوكه وأسلوبه كما يعرفها أصدقاؤه الذين خالطوه فى مختلف ظروفه ولمسوا فيه كل مذاهبه وعرفوا منه ومن أموره وتصرفاته ما لا يعرفه الأشخاص الذين خالطوه عرضاً وتأثروا بناحية خاصة فيه . فشخصية الإنسان ليست مجرد مظاهر عقليته أو مزاجه أو خلقه أو عواطفه أو

ناحية خاصة من نواحى تكوينه أو ميزة واحدة بارزة يتميز بها عن غيره من الناس ، وإنما هى وحدة حية مركبة من كل هذه النواحى ، ونتيجة لتداخلها وتفاعلها ، وبعبارة أخرى هى محصلة لعدة قوى، وبقدرما تكون عليه هذه القوى من قوة أو ضعف تكون الشخصية فى مجموعها قوية أو ضعيفة . وبالمثل إذا اتزنت هذه العوامل أنتجت شخصية متزنة معتدلة فى معظم نواحيها ، وإذا انحرفت عن طريقها الطبيعى أدت إلى شخصية منحرفة أو شاذة .

والعوامل التى تؤثر فى حياة الإنسان وتعمل على تكوين شخصية متعددة ، منها ما هو ثابت أصيل كالغرائز والذكاء ، ومنها ما هو مكتسب كالعواطف ولكننا نستطيع مع ذلك أن نردها إلى سبعة أصول رئيسية وهى العقلية والوجدان والمزاج والخلق والبدن والمهنة والبيئة .

أما من الناحية العقلية فان عقلية الإنسان تقوم على أساسين : الذكاء أو القدرة الطبيعية على التصرف فى المشاكل والمواقف الجديدة بأقصر الطرق وأقل الجهود . ثم العمليات العقلية التى تساعد الإنسان على كسب الخبرة والمعلومات والمهارة كالفهم والربط والتذكر والتفكير والتخيل ولا بد لإظهار الذكاء وتمرين العمليات العقلية والانتفاع بها فى التعلم المنظم . سواء أكان الغرض كسب معلومات أو مهارة فنية أو اتقان حرفة ، فى المدرسة والمصنع والحقل أو السوق . فالتعليم والتمرين وحدهما يعملان على كشف هذه الاستعدادات العقلية وتنميتها والسير بها فى طريق صالح منتج . على أن التعليم المدرسى وحده لا يكفى لتكوين شخصية قوية إلا إذا أكمل بالتثقيف . فهناك أنواع من المعلومات العامة الحيوية ليس للمدرسة نصيب فى كسبها . وليست علوم المدرسة غاية فى ذاتها بحيث إذا انتهى الإنسان فى تحصيلها كان عالماً مثقفاً . وإنما هى وسائل تنظيم ومفتاح لباب المعرفة ، حتى قيل أن الأستاذ ليبدأ يتعلم العلم الصحيح بعد أن ينتهى منه فى المدرسة ثم يتدرج من التعلم والتثقيف إلى الغرض الأسمى وهو دراسة طرق التفكير الصحيحة ومناهج البحث ومعالجة الأمور والنظر فيها نظراً سديداً وكسب العادات العقلية المنظمة وبذلك تصبح عقليته أداتا عامة مفيدة توجه نزعاته وميوله وعواطفه نحو الأغراض السامية التى يسعى لتحقيقها فى الحياة عن وعى ناضج وإدراك

صحيح . وهذا هو الطريق الذى سلكه السلف الصالح من الأئمة والمجتهدين والفلاسفة والعلماء وبعض البارزين من أئمة هذا العصر . فقد حرصوا على أن يتناولوا كل ما كان لديهم من علوم الدين والدنيا ، وأقبلوا عليها يدرسونها ويستوعبونها وكتبوا فيها الكتب وصنعوا الرسائل ، وكانت علوم الدنيا واللغة أكبر عون لهم على التفسير والتفقه فى الدين . والله تعالى يقول : يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتو العلم درجات » .

والعلم أساس التقوى . ومعرفة النفس مفتاح معرفة الرب . والتقوى كما يقول الإمام المراغى « تشمل أقصاء الذنوب واتقاء الأسباب الدنيوية المانعة من الكمال والسعادة حسبما ترشد إليه السنن الكونية ، وذلك يتوقف على علم سنن الله فى الإنسان منفرداً ومجتمعاً ، وعلى معرفة ما ينبغى أن يفعل وينبغى أن يترك » .

وليس معنى الثقافة أن يتشدق الإنسان أمام الناس ببعض كلمات فصيحة أو غريبة أو بعض جمل أجنبية ليوهم الناس أنه عالم بها ، أو يردد بعض آى الذكر الحكيم وأحاديث الرسول أو بعض أقوال المتصوفة وأشعارهم ، ليوهم أنه متفقه فى الدين أو يجادل فى أمر عديم الجدوى أو يناقش مناقشة بيزنطية ، لمجرد تغليب رأيه . ويشير المراغى إلى هذا فى موضوع الجدل فى القبلة فيقول « مثل هذا ليس له شأن العقلاء ، لأنه جدل خارج عن دائرة البر والخير . إذ لا تفاضل فى الأمكنة » والله أعلم وفوق كل ذى علم عليم .

والمظهر الخارجى واللباس لهما أثر كبير فى إظهار الشخصية واخفاء عيوب الخلقة . وقد قيل النظافة من الإيمان . وفى الأحاديث الشريفة « اكرم شعرك ، إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده .

وقد قسم العلماء الشخصيات إلى شخصيتين كاملتين فى تكوينهما وبنائهما وأن اختلفتا فى الخصائص والمميزات ، هما الشخصية المنبسطة أو الممتدة ، والشخصية المنقبضة أو المنكمشة . وبينهما الشخصية الوسطى أو المعتدلة

فالشخصية الأولى المنبسطة فتميز صاحبها بسرعة التفكير وحضور البديهة والالمام السريع بالأشياء والمواقف ، وسرعة البت فيها ، وربما التصرف قبل التفكير وعدم الصبر على استقصاء الجزئيات والتفاصيل الدقيقة ومعرفة الناس وسرعة تكوين الأصدقاء والثقة بالناس فى المعاملات إلى أن

يظهر منهم مما يحمل على نزع هذه الثقة والميل للتغيير فى الحياة والتنقل ، وعدم البقاء على حال واحدة . وتنوع نواحى النشاط والأعمال ، والقدرة على التعبير والخطابة والتحدث للجماهير وترأس الجماعات والبدء بالمشروعات والمرح والتفاؤل فى الحياة ، وعدم التفكير فى الماضى ، وسرعة نسيان التجارب المؤلمة ، والصفح والاتفاق وبالجملة يريد صاحب الشخصية أن يمتد حتى ليغمر المجتمع كله بنشاطه وانتاجه وشخصيته ، ولذلك ترى له أثرا بارزا فى كل مشروع وعمل ومجتمع ، محبوبا عند الناس ، يقبلون عليه وعلى مجالسه وإن كان مرحه وتسامحه وعدم حرصه يطمع الناس فيه ، وقد يسيئون إليه ويتنكرون فضله ويتنكرون له ، وقد قال الرسول الكريم « إتق شر من أحسنت إليه » ، فأنه يظل يحتفظ بخصائص شخصيته ، كأن الخسائر المادية ومصائب الدنيا كلها ومتاعبها أقل من أن يفكر فيها . وأتفه من أن يعكر مزاجه ويرهق أعصابه بسببها ويغير من طباعه من أجلها .

ولعله ينطبق عليه قول الرسول « رحم الله عبداً سمحاً إذا باع ، وسمحاً إذا اشترى وسمحاً إذا اقتضى » وقوله أتى الله بعبد من عباده آتاه الله مالا ، فقال له : ماذا عملت فى الدنيا ؟ قال يا رب أتيتنى مالا ، فكنت أبايع الناس . وكان من خلقى الجواز ، فكنت أيسر على الموسر وأنظر المعسر فقال الله تعالى : أنا أحق بذلك منك تجاوزوا عن عبدى .

وصاحب الشخصية المنقبضة ، على النقيض . شخص يحب العزلة والابتعاد عن الناس ليتقى شرهم ويأمن مكائدهم دائب التفكير والتحليل لنفسه وشعوره ودوافعه ، يحاسبها على كل كبيرة وصغيرة ، يجسم هفواته وهفوات الناس . حريص يعد العدة للمستقبل . ولا يأتمن أحداً ولا يثق فى أحد ، يدبر أموره فى الخفاء ، ويتذكر ماضيه ، ويتألم لسيئاته ، ويحزن على ما فاته ، ولا يؤمل الخير فى مستقبله ، لا يتصرف قبل أن يدرس كل تفاصيل ، وينفر من المجتمعات .

وقد يفيده حرصه وحذره . وقد ينفعه تكتمه ووقاره . ولكن كل هذا على حساب أعصابه ومزاجه .

فكل من هاتين الشخصيتين لها مزاياها ومثالبها . وخير للإنسان أن يكون صاحب شخصية ممتزجة منهما . فيمتد أحيانا فيما يفيد الامتداد فيه . وينكمش فيما يفيد الانكماش فيه . أو يمتد مع الناس وينكمش مع نفسه فيصبح متزنا معتدلا هادئاً ، لو كان هذا فى مقدور الإنسان .

محمد مظهر سعيد

١ ــ الوجودية هى فلسفة الشيطان . . .

٢ ــ يجب أن نعمل لسيادة الروح الإسلامية .

للدكتور عبد الحليم محمود

أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

الدكتور عبد الحليم محمود . رائد من رواد الفكر الإسلامى ، وداعية من دعاة المنهج الروحى ، رصد قلمه وروحه ، وملكاته للدعوة إلى إعادة الروح القرآنى إلى واقع حياتنا ، ليكون معراجنا إلى العزة والقوة ، ورسالتنا التى نهدى بها الإنسانية سبل السلام .

وقد توجهت إليه أسرة « خالد بن الوليد » بكلية دار العلوم ، باسم « مجلة الإسلام والتصوف » ، لتجرى معه حديثاً نقدمه لقرائنا ، والحديث مع رجال الفكر ، فيه جمال وانطلاق ، وفيه معرفة وحياة .

● كيف كونت نفسك علمياً ؟ وماهى العوامل التى أثرت فى حياتك ؟

● حفظت القرآن ، ودخلت الأزهر ، وعشت فى جوه الدينى ، وبعد إتمام الدراسة ذهبت إلى فرنسا لدراسة الفلسفة والاجتماع وتاريخ الأديان ، وألحقت بعد سنوات بالبعثة الأزهرية ، ووضعت رسالتى عن التصوف الإسلامى ، نشأته ومقارنته بما يسمونه خطأ التصوف المسيحى .

وليست فى حياتى عوامل شاذة ، وإنما هو تحول أو انقلاب . كنت فى عهد الشباب ، متحمس لما يسمونه ، فلسفة وأقرأ ما أستطيع فيها ، وكدت أيأس من اتخاذ مبادىء محددة ، وبالصدفة اخترت لرسالة الدكتوراه موضوع « التصوف

الإسلامى ، وتابعت القراءة فتبين لى الفرق الشاسع بين تفكير الفلاسفة وطريق الصوفية فى البحث عن الحقيقة وأيقنت أن التفكير البشرى البحت فى هذا ، إنما هو جرى وراء سراب وأن الإنسان بين أمرين ، إما أن يستمسك بالدين فى قوة ليبعده عن بلبلة الفكر ، وإما أن يتخذ الأسلوب الروحى فتتكشف له الأمور مطابقة للفكرة الدينية فى وضوح ، ومن هنا كانت الدعوة إلى المنهج الروحى فى المعرفة ، وهو منهج قال به « فيثا غورس » وغيره قديماً ، وريتيه حديثاً الذى أسلم وتسمى « بالشيخ عبد الواحد يحيى » .

● هل تتفق المدنية الحديثة مع الإسلام ؟

● تتكون هذه المدنية من عنصرين ، الأول ثقافى نظرى يتصل بالفلسفة والأخلاق والاجتماع ، وهذه آراء بشرية تخطىء وتصيب ، وتتجدد ويبطل الجديد منها القديم ، فطبيعى إذاً أن نتمسك بآراء ثابتة معصومة لا يعتريها التغير ، وهى القرآنية ، والعنصر الآخر مادى ، والإسلام هنا يدعونا ويحثنا على السيطرة ما أمكن على قوى هذا العالم المادية « سخر لكم ما فى الأرض جميعاً منه » وهى دعوة موجهة لمصلحة الإنسانية وسلامتها لا تتفق معها الروح السائدة فى المدنية الحديثة وهى التدمير ، وسيطرة القوى على الضعيف .

● هل الوجودية مذهب فلسفى أم مجرد دعوة تحررية ؟ .

● أعتقد أن خير تسمية للوجودية أنها فلسفة الشيطان . ذلك أنها تجعل التفكير الفردى مقياساً للحقيقة وهدفاً لكل إنسان ، ولكن أيتبع الإنسان تفكير عهد الطفولة . أم الشباب . أم الشيخوخة ، وإذا كان الفرد يتأثر بالعوامل المختلفة من تخمة ومخمصة ، وثراء وفقر ، وعوامل بيئية واجتماعية ، وكان الهدف الوصول إلى الحقيقة الثابتة فإنه لا يمكن اعتبار التفكير الفردى مقياساً لها وسبيلا إليها ، والفلسفة جهد مستمر للوصول إلى الحقيقة ، فالوجودية إذن ليست فلسفة ، إنها دعوة شيطانية تشبه تماماً محاولة إبليس استقلاله بتفكيره فامتنع عن السجود وضل السبيل . ومحاولة

الوجوديين الربط بين الوجـــودية والتصوف الإسلامى خاطئة من أساسها وتدل على الجهل التام به فهو جهاد للوصول إلى الحقيقة المطلقة التى تنكرها الوجودية .

• لسيادتكم هدف خاص تعمل من أجله فما هو وما السبيل إليه ؟ .

● ربما يتبين ذلك مما سبق فهو يتلخص فى (سيادة الروح الإسلامية) وهذا يستدعى جهاداً لا هوادة فيه ضد انحراف الأخلاق وضد فكرة الإلحاد التى يحاول الاستعمار نشرها لإضعاف الروح المعنوية لدى الشعوب الإسلامية وضد الفكرة الخاطئة بسيطرة العقل على الدين واتخاذه حكماً فى النصوص القرآنية مع أنه يختلف باختلاف الإنسان والبيئة فيؤدى هذا إلى اختلاف المسلمين واضطرابهم .

• ما هى المثل العليا التى ترى أن يتخذها أبناؤك ؟ .

● إنها نفس الهدف الذى أدعو إليه (سيادة الروح الإسلامية) وهذه السيادة تتمثل فى نواح كثيرة أهمها الاعتزاز بالدين وهذا يأبى كل الإباء سيطرة المستعمر ، والاعتزاز بالخلق الإسلامى وهذا يأبى أن نستجلب الروح التحللية السائدة فى بعض أقاليم الغرب ، والاعتزاز بالأخوة الإسلامية وهذا يدعو إلى إتساع نظرتنا فتشمل الأقطار الإسلامية التى تجاهد فى سبيل التحرر كالجزائر مثلا والمسلم الحقيقى هو الذى يشعر بآلام أخيه وأفراحه أين كان وينبغى أن يكون هدفنا جميعاً تحقيق الإسلام عملياً بيننا وهى غاية من السمو بحيث تستحق أن يكرس الإنسان حياته من أجلها .

محمود محمد علوان

نجح بتفوق كبير فى امتحان القبول للمدارس الإعدادية هذا العام . فله خالص التهنئة على ذكائه واجتهاده .

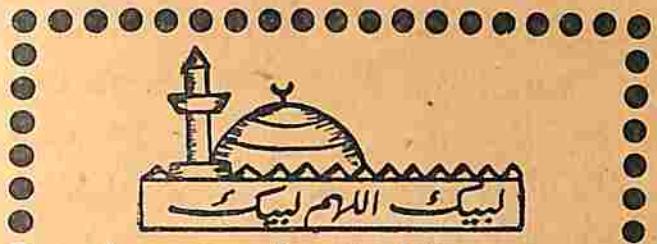

هجـــرة إليك فى زيارة حبيبـــك

للأستاذ حسنى طه شكيبانه

لبيك اللهم لبيك لاشريك لك ، إن الحمد والنعمة لك والملك . . لاشريك لك .

لبيك رب الوجود ، ورحمن الوجود ، وملك الوجود وروح الوجود لبيك مودعين بيتك الحرام فى طواف وداع .. وداع للقاء وتشبث بصورة لاتزول من القلوب ، طواف شكر على توفيق وطواف رجاء لعود حميد ، وطواف روح حول مصدر نورالوجود طوافا يحكى طوافنا فى كل سماء فى محراب رب الوجود .

لبيك منطلقين إلى أحب بلادك إليك فى أرضك فقد كانت دعوة حبيبك ليلة الهجرة الكبرى :

يامكة . . والله لأنت أحب بلاد الله إلى الله ، ولأنت أحب بلاد الله إلى ، ولولا أن أخرجنى قومك منك ما خرجت اللهم كما أخرجتنى من أحب البلاد إلى فأسكنى فى أحب البلاد إليك فكانت المدينة ـ مدينة النور والحكمة والعرفان .. مدينة الهدى والنصر المؤزر ـ كانت أحب بلاد الله إلى الله لبيك هجرة إليك فى بلد حبيبك تمثلا بهجرته الجليلة التى حولت بها وجه التاريخ لإسعاد الإنسانية بحكمتك فى إنسانية حبيبك ، وشخصيته ورسالته للعالمين :

« وما أرسلناك إلارحمة للعالمين »

لبيك وافدين على فيوضاتك الغامرة فى بلد حبيبك حيث يرقد جسده الشريف أطهر وأصفى وأجل تكوين مادى فى الوجود المادى . « لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم » وحيث يقيم فى أكرم بقاع الأرض ـ مهبط رحمة ، ومزار كرام من خلق الله فى كون الله من أرض ومن سماء ... « ويخلق مالاتعلمون »

لبيك داخلين أحب البلاد إليك، حيث أقام أحب الخلق إليك وحيث تقوم ندوة حبيبك فى مجال الأرض إذا طاف بها فى موكب تكريم ومهبط رحمة، وإلا فهو فى كل سماء إمام كل الخلائق، ونوره من الرفيق الأعلى يشرف على كل مجال فى أرض وفى سماء

لبيك متخذين من كل مدينة منورة بنوره مزاراً لقلوبنا، ومتخذين من أرض ذواتنا مشرقاً كريماً لهديه حتى تكون ذواتنا نوراً من نورك ونوره الأبهى..

« الذى يراك حين تقوم، وتقلبك فى الساجدين »

« وداعياً إلى الله بإذنه، وسراجاً منيراً »

لبيك منطلقين على الرمال التى نعمت بالحياة وهى جماد، وسعدت بالمعرفة وهى جمود، ونطقت بغير لسان فسبحت بحمد الرحمن شكراً كريما أن جعلها مهبطا لرحمته، ومجالا لمشرق نوره فى حبيبه. ومهاداً لأكرم خلقه ومنزلا عامراً بذكره وشهدت مواكب النصر الوافدة من السماء تخط بيد القدرة أروع فوز فى أجل رسالة للحياة لبيك نعد أنفسنا للقاء موكب النور الواصل من حبيبك إلى مقامه فى مجال المادة، نعدها فلا ندع فيها - بتوفيقك - خطرة لا تحبها ولا يحبها، راجين أن تغمرها بفيضك تزكية ترفعها، وطهرة وطيبا يسموان بها ليقال لها: يأيتها النفس المطمئنة ادخلى على أنوار الله فى ضيافة حبيب الله. لبيك نعد أفئدتنا لتطور كبير، وقلوبنا لفيض عميم فى سموات فضل حبيبك هديتك للوجود: « إنما أنا رحمة مهداة »

لبيك اللهم لبيك فى رحاب قدسك الأطهر حيث سجد حبيبك المكرم فأمدنا اللهم بفضلك زاداً من النور والجمال يليق بالدخول عليك فى مقام حبيبك ومجتباك يا كريم الجود والعطاء

لبيك اللهم لبيك. لبيك لاشريك لك لبيك. إن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك... لا إله إلا الله وحده. صدق وعده، ونصر عبده وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه. مخلصين له الدين ولو كره الكافرون.

لبيك يارسول الله الكريم إجابة لربك العظيم. واستجابة لك ياهادى الوجود إلى الله « من يطع الرسول فقد أطاع الله » وحباً فيك وفى ربك الكريم « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله »

ومبايعة كريمة لك ولربك العظيم

« إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ... »

واستمتاعاً بصوت الحق من نور وحيك المقدس ، وجلال صوتك الأقدس ، وماينطق عن الهوى . إن هو إلا وحى يوحى »

وحياة بنور روحك وريحانك واهتداء بنور وحيك وقرآنك ، « وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا . ماكنت تدرى ما الكتاب ولا الأيمان ، ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا »

واستقامة على سبيلك الأغر الواصل بالوجود إلى رب الوجود مهتدين بنور أمام الوجود :

« وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه »

« قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله، « وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم . صراط الله »

لبيك يارسول الله ، ياصوت الحق ومنطق الرحمن ، ودعوة الكريم المتعال لبيك يانور الله ، ويا سراج الحياة ، ويا طب القلوب ، ويا صفاء الأرواح لبيك يا شمس الحكمة ، وجلال المعرفة . وجمال التكوين .

التحيات الطيبات المباركات لله .

والصلوات والطيبات لله .

السلام عليك أيها النبي ورحمة الله تعالى وبركاته .

السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين

أشهد ألا إله إلا الله . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد

نشهد يارسول الله أنك بلغت الرسالة ، وأديت الأمانة ، ونصحت الأمة ، وتركت فيهم نورك وهديك ووصلتهم برب الوجود فهم موصولون به ما اعتصمو بحبل هدايتك ، ونور قرآنك .

« لقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى . كتاب الله وسنتى

يا رسول الله ـ وأنت قائم فى السموات مع الرفيق الأعلى تسمع .. كن بفضل الله شفيعنا وضميننا وقائدنا فى معراج الكمال وإمامنا فى الرقى الأسمى « إن إلى ربك الرجعى »

يارسول الله ـ خذ بأيدينا إلى رحاب ربك وقدس فيوضات الكريم

وخذ بعقولنا إلى مجالى آيات ربك العظيم ، وارق بأرواحنا إلى مشرق نورالوجود من رب الوجود العظيم. يارسول النور من رب الحكمة والنور ورحمته المصطفاة المهداة للعالمين . يارسول الله ياشهيداً على كل الوجود بأمر الله :

« فكيف إذاجئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً »

قد بايعناك بإيماننا - الموصولة برضوان الله - بيمينك القائمة فى الوجود يمينا هاديا من الله ... إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله .

يارسول الله فى هدينا من هديك جلال وجمال ، فادع الله أن يتم علينا الفضل ، فيكون دائما موصولا بهديك حياً بروح رسالتك ، عاطراً بريحان دعوتك ، مشرقاً بنور نبوتك ، ورائع حكمتك .

يارسول الله ، وفى الصوفية الحكيمة التى انبعثت من أنوارك وانطلقت فى قيادتك تصل رسالتك فى جهر وإعلان حتى تتشرف القلوب لأنوار الله وهديه وتدل العقول على بدائع حكمته فتجد فى آيات قرآنك نورالحياة وسموالحياة وجمال الحياة . . ولاشىء يغيب عن آيات كتابك المنزل عليك من ربك :

« ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شىء »

وإنما يفقهه أهله ، ويدل على حكمته ذووه فيجد العلماء فى كل فن عظمة الله فى صنعته وفى منطقه فيسجدون شكراً بين يديه « إنما يخشى الله من عباده العلماء »

« وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهادى الذين آمنوا إلى صراط مستقيم »

يارسول الله فادع ربك الكريم ان يمد الصوفية الكرام بفيض من رحمته ، وروح من عنده ، ونصر وتأييد .

يارسول الله ، وقد انطلق ركب العروبة الزاحف تقوده مصر الكريمة تدعو للسلام فى رحاب رب السلام ، وتوقظ الإنسانية على صوت الحكمة والسلام ، من أفواه رسل السلام ، وتعاليم الأنبياء الكرام .

فادع الله يارسول الله أن يمد رجال العروبة والإسلام بتوفيق غامر وهدى كريم شامل ، ونور فياض ونصر مبين . وأن يوفق ابن العروبة والإسلام البار جمال عبد الناصر لجمع الكلمة وتوحيد الصف ، وتقديم رسالة

الحق للعالم كله حتى يعيش فى حب ومرحمة وسلام .

اللهم يامن أكرمت الوجود بحبيبك ، ووعدته المزيد حتى يرضى :

« ولسوف يعطيك ربك فترضى »

أكرمنا وأكرم العاملين فى حقل المعرفة والهدى والخير والإصلاح حتى نكون أمثلة كريمة فى الهدى والدعوة إليك .

فمن تكريمك لحبيبك أن تجعل من أتباعه هداة إليك فى موكب نوره « ولسوف يعطيك ربك فترضى »

الصلاة والسلام عليك يارسول الله وحبيب الرحمن

الصلاة والسلام عليك يا صديق الحبيب ، وخليل المصطفى ، ونور إيمان الأمة ، ورجاحة الحق فى ميزان المعرفة . يارفيقه فى الغار ، وخليفته فى الهدى يا أبابكر يامظهر الوداعة والجلال .

الصلاة والسلام عليك ياعز الإسلام ويا أمير المؤمنين الاول يامن أخذت النبوة هديا ودعوة وجهاداً وعملا ، وإلهاماً من منطق حكمة السماء فنزل القرآن بفراستك ، وإن لم تكن نبياً اسماً وصورة حيث لا نبي بعد كمال النبوة فى المصطفى .

الصلاة والسلام عليك ياعمر ياكريم ويامكرماً بمقام فى روضة الحبيب

الصلاة والسلام عليك ياذا النورين ويازكى النفس ، يامبكى القلوب من جلال الحق إذا نطقت بصوت الحق ، يامن تستحى من موكبك الملائكة ياعثمان ابن عفان .

الصلاة والسلام عليك ياباب مدينة علم رسول الله ، يافصيح البيان ياترجمان الحق ياخطيبا بفصل الخطاب يافارس الميدان ، يا أخا محمد بمنزلة هرون من موسى

الصلاة والسلام عليك يا أبا الحسنين .

الصلاة والسلام عليكم يا آل بيت الرسول الكريم وصحابته الاجماد ، ودعاة الحق والخير والحكمة فى الارض وفى السماء

لبيك اللهم لبيك ـ من روضة مسجد حبيبك ـ لبيك لاشريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك . لبيك فى كل وقت ومجال .

حسنى طه محمد شكيبان
بمعلمات رأس التين

كيف صاغ الإسلام شخصية الإنسان

للأستاذ محمود محمد عمارة
المدرس بمعهد دسوق الدينى

بدنا فى البحث السابق كيف خاطب القرآن الكريم ملكات الإنسان كلها.. وأيقظها من سباتها . . حتى تكون مهيأة لتلقى قواعده ومبادئه ..

وقد وعدنا أن نبين بعض هذه العقائد . . لنرى كيف صنع الله الإنسان على عينه . . ليقود الركب الحائر إلى ربوة النجاة : فعندما نقرأ نحن المسلمين كتاب الله ونتدبر آياته لنبصر فى مرآته أنفسنا .. وما أعدلنا .. ونتحسس موقف هذا الكتاب المبين من الفرد والجماعة .. سيخفق فى قلب كل إنسان منا إحساس بالعزة .. وشعور بالكرامة . . حتى لكأنه ملاك يطير عبر السماء بأجنحة علوية . وستدرك الجماعة إلى أى حد كرمها القرآن .. ودفع بها إلى العلا درجات.

وكنتيجة طبيعية لهذه الأحاسيس . . سيشتد تعلقنا بالدين وآدابه . . وتزداد ثقتنا بتشريعاته . . لا سيما فى هذا الوقت العصيب .. الذى تجند فيه الشيوعية جندها .. وتشحذ سلاحها.. لتقطع على الدين الحنيف زحفة الصاعد .. ليحقق سعادة الإنسان : « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواهم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » .

فتعال معى أيها القارىء العزيز إلى كلمة سواء : أن نقف وقفات قصار أمام بعض الآيات الكريمة . . حتى نستشف ماترمز إليه وتحض عليه من القواعد والعقائد .. لنهتف سوياً.

إن هذا الدين كان ربوة سامقة . . ارتفعت بالبشر إلى مستويات مثالية عالية . . وبوتقه انصهر فيها الإنسان ليخرج إلى الحياة ذهباً خالصاً!

إقرأ قوله تعالى :

« وإذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشراً من طين . فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين » .

« ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات

وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا »

تشير الآية الأولى أن الإنسان قد وقع عليه الاختيار ليكون نائباً عن القدرة العليا فى عمـــارة الأرض . . وتفيد الثانيـة أنه أشرف مخلوق على ظهرها . . فإذا كان عبدا لله . . ففى الوقت هو سيدها ورائد الإصلاح فيها .

والسؤال الآن :

ماهى النتيجة الخلقية لشعور المرء بأنه أكرم مخلوق ؟ إن إحساسه بهذا .. من شأنه أن يغرس فى قلبه الطموح . . والثقـة بالنفس . . والترفع عن الدنايا التى خلقت من أجله كرائد خلقت له الأرض مطية ذلولا .

ولاستمرار هذه الفضائل فى النفس نتائج طيبة ذات أثر فعال فى الحياة .

فالرجل الطامح :

لا يقدم رجلا ويؤخر أخرى .. بل إلى الأمام دائماً شعاره : الإقدام .. عند ما تزل الأقدام !

وبذلك لايجد التردد إلى قلبه سبيلا . . فيستريح الإنسان من رذيلة طالما أضاعت فرصاً سانحة . . وصفقات رابحة .

والرجل الواثق فى نفسه :

ليست به حاجة إلى أن يتزلف إلى غيره من الناس ابتغاء عرض الحياة الدنيا ..

وليس هو فى حاجـــة إلى جنون العظمة . . وإلى حاشية من المنافقين تملأ فراغ أذنيه بألقاب هو منها براء ! فاغتراره بنفسه . . وإعتماده عليها . . يدفعه بعيداً عن أرض النفاق .. تلك الرذيلة التى تشوه جمال الحقيقة وتطمس معالمها فى سبيل مغنم لا يساوى ملء قبضتك نخالة !

وعند مايبتعد الرجل عن محقرات الأمور ويتطلع إلى معاليها :

سيغادر الجو الخانق الكريه . . إلى رحبات فسيحة رفيعة .. إلى أجمل بيئة يصقل فيها الضمير . . ويتطهر القلب . .

فيصبح الحكم على الأشياء سليما .. بعيداً عن مختلف المؤثرات ..

وهكذا .. يصبح الإنسان ربانياً : يقول للشىء كن فيكون .

بيد أن الإنسان قد يمتلك مثل هذه الكنوز من الفضائل والشمائل .. ثم لا يجد أسواقاً رائجة لينفقها فيها ! قد يتسرب اليأس إلى قلبه .. ويشيع القنوط فى نفسه . . إزاء عصر ترك الناس فيه الصـــلاة واتبعوا الشهوات حتى

ليكاد يكفر بجدوى هذه القيم فى دنيا الناس .

ولكن نداء حبيباً يهبط عليه من لدن الحق تبارك وتعالى يذكره بأن هناك حياة أخرى يوفى الصابرون أجرهم فيها بغير حساب .

وهنا نستنبط قاعدة هامة أريد بها أحكام بناء الإنسان الروحى :

فالأيمان بالحياة الأخرى يطرد اليأس من قلوب العاملين إنتظاراً لهذا اليوم . . الذى سينعمون فيه بما لا عين رأت . . ولا أذن سمعت . ولا خطر على قلب بشر . . بعد أن جنوا فى حياتهم أشواك الجحود !

وهذا الأيمان أيضاً يطرق قلوب الجاحدين . ويهزها هزا . . حتى تصحو من غفوتها . . وتشعر بوجود يوم يجعل الولدان شيباً السماء منفطر به

وبذلك تذيع الفضائل وتشيع فى ظلال الأيمان بيوم القيامة . . . ويتجدد تعلق الناس بهـــا . . . والاستمساك بحبلها .

وهنا نصل إلى إجراء لا يقل خطراً عن سابقيه فى إحكام بناء الفرد والجماعة :

فالأسلام يغرس فى وعى الجماعة المسلمة : أنها فوق الجميع ! .

« كنتم خير أمة أخرجت للناس »

« وكذلك جعلناكم أمة وسطا . . لتكونوا شهداء على الناس »

والأمة التى تعيش فى ظل هذا الشعور لا تسمح لأمة أخرى أن تسبقها فى ناحية من نواحى النشاط : ثقافية كانت أو اجتماعية أو صناعية .

وكلما أتاها نبأ إختراع جديد . . حاولت أن تساوقه أو تسبقه .

وكلما نالت أمة سبقاً . . اندفعت بكل قواها مستخدمة جميع أمكانياتها حرصا على الوسام الخالد الذى علقته فوق صدرها يد الحق سبحانه وتعالى

وناهيك بالنتائج الرائعة . . والمستقبل السعيد الذى ينتظر مثل هذه الأمة الطامحة .

غير أن الخبير بالنفوس وطبائعها العليم بالجماعات واتجاهها . لم يشأ أن يصوغ شخصية الإنسان على هذا النحو دون إجراء وقائى . . يحكم غرس هذه المبادىء فى النفوس . . حتى لا تنمو فى أرض رخوة لا تمدها بناء أو بقاء . . فيكون ظاهره رواء . وباطنه خواء ! !

فعندما بين الله سبحانه أن الإنسان أكرم مخلوق . . بين فى موضع آخر مقومات هذه الكرامة فقال تعالى :

« إن أكرمكم عند الله أتقاكم »

فالعمل الصالح وحده كفيل بأن يحشر الإنسان فى زمرة الأبرار .

ولم يرد سبحانه أن يصرف انتباه الناس إلى الدار الآخرة وحدها . . وإلا خربت الحياة . . . وتعطلت الحواس التى لم تخلق إلا لتعميرها وتطويرها بل وجهنا أيضاً إلى التمتع بما فى الحياة من مباهج :

« وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا »

وقبل أن تدق الجماعة الإسلامية أقدامها فى الأرض زهواً . . وقبل أن تشمخ بأنفها فى السماء كبرا . . أمام شهادة الله لها بالرفعة والسمو : نراه وقد أخذ بخطامها .. وملأ وعيها بالأساس الوطيد الذى نبنى عليه هذا الحكم فقال تعالى :

« تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر »

أى أن وضعكم كحملة المشاعل عبر الطريق . . كرواد يبشرون بمبادىء الخير والسلام . . وينفرون من رذائل النفوس ونزعات الشيطان كل هذا . : إنما هو حيثيات جاء على أثرها الحكم الخالد : كنتم خير أمة أخرجت للناس ! !

فهل قمنا الآن على قلب رجل واحد لنمارس تلك الشعيرة حتى نكون جديرين بمكانتنا التى أريدت لنا ؟

لقد حمى وطيس المعركه بيننا . . وبين طغمة الشيوعيين الذى جحدوا الدين . . وجعلوا القرآن عضين . .

فهل سينتصر الشيوعيون ورائشو نبالهم والحاطبون فى حبلهم ؟

لا . . وألف مرة لا !

لأن الجندى المسلم . . الذى صاغه الله على تلك الصورة مستحيل أن يهزم أبدا . .

ومهما كثر فى يد الشيوعيين السلاح ومهما لاحت لعيونهم بوارق الوعود . . عبر الحدود !

فهم بغاث من الطير اجتمعن على صقر ! وسينتصر الصقر . . ويحلق فى اجواز الفضاء مردداً لحن السلام :

أما أنتم أيها الشيوعيون فمغانمكم ستكون :

أحزان يعقوب . .

ومواعيد عرقوب

وإلى العدد القادم بمشيئة الله .

مؤلفات إسلامية أثرت في الفكر العالمي

للأستاذ الكبير عباس محمود العقاد

طريق النور من المشرق إلى المغرب.

وهي كلمة من قبيل تحصيل الحاصل أو اللعب بالألفاظ، إذا أريد بها النور الذي ينبعث من الشمس أو من كواكب السماء، فإنما يطلع الكوكب من مطلعه ويغرب من مغربه على كل حال.

ولكنها حقيقة التاريخ الكبرى إذا أريد بها نور الفكر أو نور الضمير، فما من حضارة من الحضارات الإنسانية الأولى، إلا وقد نشأت في المشرق ثم اتخذت طريقها إلى المغرب بعد حين.

من الشرق أخذ الغرب لغاته الآرية والطورانية، ومنه أخذ حروف الكتابة ومنه أخذ أرقام الحساب، ومنه تعلم صناعات العمران كالزراعة والنسيج والملاحة وتربية الحيوان.

ومن الشرق أخذ الغرب دياناته الحاضرة والغابرة، فقبل الديانات الكتابية كانت للغرب ديانات وثنية، وكان أهمها وأدلها على المعرفة ما تعلمه من الشرقيين، ولا تزال أسماء الأيام إلى الآن منسوبة إلى الأرباب السماوية كما عرفها البابليون الأقدمون، ولا يزال الأسبوع محسوبا كما كان يحسبه الفلكيون الشرقيون قبل ثلاثة آلاف سنة، ولا يزال اسم «أوربة» نفسه مأخوذاً من كلمة شرقية سامية قديمة بمعنى الغروب!.

والحضارة الإسلامية إحدى هذه الحضارات التي انتقلت من المشرق إلى المغرب، وهي أكبرها أثراً من جميع الوجوه، لأنها أطولها زمنا وأوسعها نطاقا وأكثرها امتدادا في بلاد القارة الأوربية.

ولقد مضى على الغرب خمسة قرون من القرن العاشر إلى القرن الخامس عشر، لم يعرف فيها المعرفة إلا من المؤلفات الإسلامية، ومن هذه المؤلفات عرف تراثه القديم من حكمة اليونان.

ولا نحصي كل هذه المؤلفات لأنها كثيرة متفرقة، والمعدوم اليوم منها

أكثر من الموجود . ولكننا نذكرها إجمالا ونكتفى بالاشارة إلى المعروف منها الآن .

فكتاب القانون لابن سينا ، وكتاب الحاوى للرازى ، كان عمدة الأطباء والعلماء إلى القرن السابع عشر وكانت جامعة لوفان تعتمد على هذين المرجعين فى التطبيب والعلم الطبيعى إلى ما بعد سنة ألف وستمائة . وقد ذكر جوستاف لوبون أن كتاب « التعريف لمن عجز عن التصريف » لأبى القاسم خلف بن العباس — كان مدرسة للجراحين الأوربيين جميعاً بعد القرن الرابع عشر ، وقد طبع بعد ذلك بقرن باللغة اللاتينية ، وكان الأطباء قبل ذلك يقرأونه باللغة العربية أو يستعينون على فهمه بمن يعرفها .

وليس أدل على تقدير الغرب لابن سينا — على التخصيص — من نقش صورته على جدران الكنائس واعتباره من أعلام الإنسانية فى جميع العصور .

ومؤلفات ابن رشد فيما وراء الطبيعة ، وفى العلوم الطبيعية ، لم تزل مرجعاً للعلماء إلى القرن السادس عشر ولم يزهد فيها العلماء وطلاب العلم بعد تحريمها عدة مرات .

وقد كان للمؤلفات الإسلامية أثر فى توجيه الفكر العالمى إلى نتائج عملية من أعظم النتائج فى تاريخ العالم قديمه وحديثه ، وإحدى هذه النتائج التى لا شك فيها كشف القارة الأمريكية .

ان الروايات التاريخية عن اقتحام العرب للمحيط الأطلسى ، أو بحر الظلمات كما كانوا يسمونه ، متعددة متواترة لا موجب للشك فيها ، وبعضها يذهب إلى القول بوصول الملاحين العرب إلى الشواطىء الأمريكية ، وبعضها يصف الجزر التى بلغوها وصفا يطابق المعلوم عن الجزائر الموجودة فى هذه الأيام . ومن القرائن التى يستدل بها على وصولهم إليها أن كولمبس جاء من أمريكا بذهب يخالطه النحاس على النسبة ، وبالمقدار الذى يجرى عليه خلط الذهب فى غانة الأفريقية . ولكننا على هذا كله لا نعتقد أن ملاحين من العرب وصلوا فعلا إلى أرض القارة الأمريكية ، وليس فى جميع الروايات دليل قاطع على وصولهم إليها ، والرأى الأصح أنهم حاولوا ولم يصلوا ، وان طائفة منهم هلكت فى الطريق ، وهم الذين يسمونهم بالمغررين ، من تغريرهم بأنفسهم ومخاطرتهم بالحياة .

أما الأمر الذى لا شك فيه فهو أن الفكرة التى نهضت بكولمبس إلى تلك السياسة الخالدة إنما كانت فكرة عملية مستمدة من المؤلفات الإسلامية وأجدرها بالذكر فى هذا المقام كتب الفلك والجغرافية ، فلولا اقتناع كولمبس باستدارة الأرض لما خطر له أن يصل إلى الهند من طريق الغرب ، ولم تكن فى ايطاليا وأسبانيا — يومئذ — مؤلفات تشرح هذه الفكرة غير المؤلفات الإسلامية .

كان معول الغربيين فى علم الفلك على الكتب الإسلامية ، وبقيت أسماء المنازل الفلكية ، وأسماء بعض النجوم عربية إلى هذه الأيام ، ومنها الراعى والذنب والسماهور والنسر الواقع ورجل الجبار ، وعشرات غيرها من الأسماء ، بل بقيت عندهم أسماء منقولة عن العربية مع الخطأ فى ترجمتها لأنهم صحفوها فى القراءة ، فأخطأوا فى قراءة «الفرود» بالفاء بمعنى النجوم المفردة وقرأوها القرود بالقاف وترجمت من أجل هذا الخطأ بالقرود .

وقد كان الرياضيون والجغرافيون من المسلمين يقولون كما قال المسعودى فى مروج الذهب : « ان الشمس إذا غابت فى جزائر (الأوقيانوس) كان طلوعها فى أقصى الصين ، وذلك نصف دائرة الأرض » .

وكانت كتب الادريسى شائعة فى المغرب ، وكان اسم الخريطة نفسه مأخوذاً من العربية ، لأنهم كانوا يرسمون المصورات الجغرافية على قطعة يخرطونها من الجلد ، وتسمى من أجل ذلك بالخريطة ، وكان الجلد — ولا يزال — يسمى « بالموروكو » نسبة إلى مراكش التى تصنع فيها تلك الجلود .

فإذا حسبت آثار المؤلفات الإسلامية فى الفكر العالمى ، وجب أن يكون هذا الأثر فى مقدمتها ، لأنه الأثر الذى كشف الكرة الأرضية لسكانها ، ودلهم على جانب منها يسمى الآن بالعالم الجديد .

وللحكيم الإسلامى — محيى الدين ابن عربى — أثر كبير فى التصوف العربى ، وفى فهم الغربيين لطبائع العالم الآخر ، وأكبر تلاميذه من المتصوفة « اكهارت » الألمانى ، وقد نشأ بعد محيى الدين بنحو قرن من الزمان .

أما آثار الغزالى فى حكمة الغرب فقد بدأت بمذهب « دافيد هيوم » فى مسألة الأسباب . وانتهت إلى المذهب العلمى المتفق عليه فى العصر الحاضر ، وخلاصته أن الأسباب ظواهر تقترن

بالنتائج وتظهر معها على التكرار ، ولكنها لا توجدها ، ولا تتوقف النتائج عليها لزاما بحكم التفكير الصحيح

ومن المؤلفات الهينة جداً علينا كتاب يقرأه الألوف من الصغار والكبار ، ويقبل عليه الغربيون فى العصر الحديث إقبالا يفوق كل إقبال على أمثاله وذلك هو كتاب « ألف ليلة وليلة » المشهور .

هذا الكتاب كان له أثر هائل فى انقلاب النهضة الايطالية ، ثم النهضة الأوربية ، وكان له شأن كبير فى حركات الإصلاح بين الدعاة الدينيين .

وإنما حدث منه ذلك الأثر على غير قصد من المؤلفين له وممن قلدوهم أو نسجوا على منوالهم من كتاب الإيطاليين .

فالأديب الايطالى « بوكاشيو » « قلد » ألف ليلة فى كتابه المسمى بالصباحات العشرة ، وجعله قصصاً تروى فى عشرة أيام ، وكل يوم منها تروى فيه عشر قصص ، وأكثر هذه القصص تعريض بالمنافقين المنتسبين إلى رجال الدين ، وسخرية بذوى المقامات وما يستتر فى حياتهم الخاصة من الآثام والموبقات . ويقول المؤرخون بحق أن هذا الكتاب زلزل دعائم المجتمع فى عصره ومهد الطريق للانقلاب الخطير فى نظام الدولة ومعاهد الزعامة والسلطان .

ويشبه هذا الكتاب كتاب آخر ألفه الأديب الأسبانى « سرفانتيز » وسماه الدون كيشوت وقال أنه ترجمه من نسخة عربية ضاعت منه بعد الترجمة ولم يكن سرفانتيز جاداً فى دعواه ولا فى زعمه ان ذلك الكتاب مترجم من نسخة عربية ، ولكنه على التحقيق مستفاد من المطالعات العربية والأقاصيص المسموعة عن العرب ، وكثير من أمثاله يكاد أن يكون ترجمة حرفية للأمثال المتداولة بيننا إلى اليوم

ويلحق بالمؤلفات فى هذا النوع كتاب قديم فى تاريخ تأليفه ، حديث فى تاريخ ترجمته ، يمتاز باتساع الصدى فى الغرب كله من القارة الأوروبية إلى القارة الأمريكية ، ولا يضارعه فى سعة إنتشاره كتاب مثله من تأليف الشرقيين أو تأليف الغربيين .

ذلك الكتاب هو رباعيات عمر الخيام .

وليست رباعيات الخيام مؤلفاً إسلامياً بموضوعه ، ولكنها تحسب من المؤلفات الإسلامية لانتسابها إلى مؤلف مسلم فى بلاد إسلامية ، وقد

تلقاه الغرب كما يتلقى كتب الوحى المنزل ، وتتابعت الطبعات منه فى كل لغة ترجم إليها ، وبلغت النسخ المطبوعة منه مئات الألوف ، بل لعلها بلغت الملايين فى اللغات المتعددة ، وغالى بعضهم بنسخته من هذه الرباعيات فنقش كل صفحة منها نقشة فنية محتفلا بصناعتها ، ورصعها بالجواهر الملونة ، وجعلها فعلا ومجازاً ذخيرة من الذخائر النفيسة التى لا يفرط فيها من يقتنيها .

ولا يقال عن رباعيات الخيام أنها من المؤلفات التى خلقت فكرة جديدة ، أو وجهت الأفكار إلى اتجاه جديد ، ولكنها تعد من الكتب المعبرة عن زمانها ، وكأنما صادفت الغربيين وهم يلتفتون إلى الشرق ليهتدوا بهديه ، وجاءتهم على حين حيرة واضطراب وعجز عن النفاذ إلى حقيقة الوجود ومعنى الحياة ، فلم يجدوا فيها بغية العقول والضمائر ، ولكنهم أدركوا منها غاية حيلة المحتال الذى ليست له حيلة يطمئن إليها ، اللهم إلا أن يهرب من أفكار كلها شكوك ، إلى متعة نفسية أو حسية لا شك فيها ويقاس رواج هذا الكتاب بمقاييس شتى ، يكفينا منها فى هذا المقام اسم الجنرال عمر برادلى الأمريكى ، فإنه مسمى على اسم عمر الخيام .

على ان المؤلفات التى تنسب إلى حضارة كبيرة - تحسب لها آثار عامة غير آثار المؤلفات كتابا كتابا وقطعة قطعة وهكذا كان المؤلفات الإسلامية فى جملتها أثران شاملان : هما الحرية الفكرية وتوحيد لغة المعرفة ولغة الأمة . فقد رأى القراء الأوربيون كتباً تعالج كل مسألة ولا تتوقف عن البحث فى شأن من شئون العقل والمعرفة العامة ، ورأوا كذلك أن العالم المسلم يكتب للقارىء بلغة أمه وأبيه لا بلغة أجنبية عن فكره ولسانه وقد كان الأوربيون يعتقدون بحكم العادة أن كتابة العلم والحكمة لا تجوز بغير اللغة اللاتينية ، فلم يجترىء أدباؤهم على الكتابة بلغتهم إلا بعد قيام الحضارة الأندلسية إلى جوارهم وشيوع الكتب الإسلامية بين المتعلمين

ومن الحق أن نقول أن الحضارات جميعاً تأخذ وتعطى وتفيد وتستفيد ، والحضارة الإسلامية ، على هذه السنة الشاملة ، قد أخذت كثيراً وأعطت كثيراً ، ولكنها إذا وضعت فى الميزان كان مالها أكثر مما عليها ، وكانت لمؤلفاتها آثارها الكبرى فى إبانها ، وآثارها الباقية فى العصر الحديث .

بين: أحمد بن حنبل والحارث المحاسبي

للأستاذ محمود عبد العزيز محرم

شهد القرن الثالث الهجرى رجلين كبيرين ، أحدهما أحمد بن حنبل ، والآخر الحارث المحاسبي .

كان الأول يمثل أصحاب السنة وأرباب التقليد والمستمسكين بظاهر القرآن والحديث . وكان الآخر من رجال المواجيد والأذواق ، وصفاء القلوب ، وتطهير النفوس ، وتزكية الأرواح . ورغم ما بينهما من قرب الغاية ، إن لم نقل وحدة الغاية ، فقد شب بينهما خلاف خطير تبادلا فيه النقد والمعارضة .

لم يكن أحمد بن حنبل رجلا متهاونا فى دينه . كان فوق الشكوك والريب من هذه الناحية . وكان ذا مكانة شعبية لاعتقاد العامة فيه وإيمانهم بصلاحه وورعه وتقواه . وارستقراطيته لأنه قمة العلم السلفى فى عصره ، فعلماء الفقه والحديث والتشريع ينصبونه إماما حجة ثبتا فى علومهم وأحكامهم ، ودعاة الحرية أو كبار المعتزلة يرونه أستاذاً لا تستصغره البصائر ولا تتخطاه الأنظار ، إذ كانوا دائماً ينتظرون كلمته كرجل يمثل ثقافة معينة ذات حظ راجح فى الموازين ، وهو خير من يمثلها ويفصح عنها . وحسبه أنه هو صاحب « المسند » ، وهو كتاب فى حديث الرسول ، ضم بين دفتيه زهاء ثلاثين ألف حديث ، غاص عليها الإمام فى بحر النبوة ، وتنخلها من الميراث المحمدى الكريم . وقد جمع مسنده ليقف به فى وجوه دعاة الحرية العقلية والمروجين لها ليقيم دعائم السنة والشرع على أساس قويم .

والحارث المحاسبى هو صاحب كتاب « الرعاية لحقوق الله » . وقد بلغ فيه من تحليل نزعات النفس ، ونزوات الهوى ، وأمراض القلوب ، حدا لايجارى ولا يبارى . ويقول الأستاذ المستشرق ماسينون عن هذا الكتاب : « إن المحاسبى سما فيه بالتحليل النفسى إلى مرتبة لا نجد لها مثيلا فى الآداب العالمية إلا نادراً . وقد كان للحارث أثر عظيم فى رجل عظيم من بعده ، هو الإمام الغزالى ، صاحب الإحياء . ويرى كثير من المؤرخين أن المحاسبى كان الملهم للغزالى فى وضع كتابه « المنقذ من الضلال » .

ولقد كان أهل الاعتزال يحكمون العقل فى نصوص الشرع ، ولئن كان أهل السنة وعلى رأسهم الإمام أحمد يعنون بالأحكام والتشريعات والحياة الظاهرة للمسلم ، فإن المحاسبي يرى غير هذا ، يرى غير ما يراه المعتزلة ، ويرى غير ما يراه أصحاب السنة ، أو قل هو يرى تطهير القلوب ، وبغض الجدل والمراء والورع عن الاغتياب والظلم والأذى ومخالفة الأهواء ، ومحاسبة النفس ، والاستعلاء على مطالب الجوارح ، والبعد عن الطمع ، ومجانبة الشهوات والتقلل من المباح ، والزهد فى الحلال والإشفاق من الحساب ، والوجل من الميعاد ، والإيثار على النفس . وهو بذلك من مذهب المتطهرين ، لا من العقليين ، ولا من المعنيين برسوم الظاهر .

• • •

والظاهر أن الحارث كان يصطنع شيئاً من أساليب المعتزلة ودعاة الحرية وهو فى ذلك على حق ، لأن عصره كان عصر جدل ومناقشة ، وكان لابد للحارث من أن يحذق الأساليب المختلفة ويلم بأطراف من العلم الجديد والعلم القديم ، فوق أذواقه الخاصة ومواجيده القلبية وهواتفه الروحية ؛ ليستطيع أن يوفى أفكاره ومعانيه حقها من التعبير الملائم والبيان المفيد . وليس معنى اصطناعه أساليب المتكلمين كثيراً أو قليلا أنه كان زائغاً فى عقيدته أو ضالا فى وجهته أو رقيق الدين ضعيف الإيمان ، إنه كان رجلا فى الصف الأول من المجاهدين البررة من هؤلاء الرجال الذين لا يسوغ لهم أن يهملوا الثقافات المختلفة إن كانوا يريدون النجاح فى دعوتهم وإقامة دعائمها وتثبيت أركانها .

والحارث من هذه الناحية لم يعجب الإمام أحمد بن حنبل. لقد رآه الإمام رجلا يحرفه تيار البدعة فى عهده ، فناصبه العداء ، وتكلم عنه ، ووهن من عقيدته . ولم يكن أحمد بن حنبل متسامحاً مع المعتزلة وأصحاب الحرية ، لا لأنه يبغض الحرية ، ولا لأنه يكره أن يعيش الناس أحراراً ، ولا لأنه لا يشغف بالعلم وبحوثه ، بل لأنه كان يرى أن هذه الحرية المعتزلية تدعو إلى تحكيم العقل فى الدين تحكيما قد يكون مشايعاً لأصحاب النحل الضالة والمعتقدات الفاسدة . وبما أنه رجل سلفى ، وذو مكانة ممتازة ، وينظر إليه على أنه إمام وحجة ، فلا بد أن يقف فى وجه هذه الآراء الحرة التى قد تطغى

يوما ما فتضل أصحابها والمتأثرين بها .

ولعله من الحق أن نقول إن الإمام أحمد لم ينتقد الحارث وحده ، بل هناك كثير غيره ، منهم الحسين بن على الكرابيسى . وهو عالم جليل جمع بين علمى الفقه والحديث . ويقول الخطيب البغدادى : « حديث الكرابيسى يعز جداً ، وذلك أن أحمد بن حنبل كان يتكلم فيه ، لما نال من ذكر سيء فى نظره » .

ويرجع ذلك إلى ولعه بعلم الكلام وبمذاهب المتكلمين عموما ، ثم إلى ميله بصفة خاصة إلى تطبيق النظريات الكلامية ، للوصول إلى آرائه فيما يتعلق بالقرآن .

ومما نقل عن الكرابيسى ، والحارث المحاسبى ، والبخارى ، ومحمد بن نصر المروزى ، قولهم بأن اللفظ بالقرآن مخلوق ، أى أن قراءة القرآن مخلوقة لا قديمة ، على غير ما يرونه فى القرآن ذاته من أنه قديم ، فالقرآن قديم ، ولكن القراءة التى نقرؤها مخلوقة محدثة . وهذه المقالة لم يسلم بها الإمام أحمد ، ووقع فى أصحابها ، وإن كان بعض الكتاب يرى أن الإمام لا يخالف فى هذه المقالة ، إلا أنه يؤثر عدم الكلام فيها ، لأنها بدعة يحسن توقيها . وهذا الاعتذار الأخير شبيه بعلم الإمام أحمد ومنهجه ، إذ ليس من المعقول أن يسوى بين القرآن والتلفظ به فى القدم أو الحدوث ، مع وضوح الفرق بينهما فى قضيتنا هذه . ويبدو أن مدار النزاع يدور حول منهج البحث أكثر مما يدور على صحة النتائج التى ينتهى إليها فى الآراء الاعتقادية . وقد جاء فى طبقات الشافعية : « اعلم أن الإمام أحمد رضى الله عنه ، كان يشدد النكير على من يتكلم فى علم الكلام . خوفاً أن يجر ذلك إلى مالا ينبغى » . وقد كان الحارث من الذين يستعينون بالعقل والقياس فى المسائل الاعتقادية . ولعل ذلك كان قبل أن يتوصل إلى منهجه فى الذوق وتطهير النفس وتصفية القلوب ثم ظلت هذه الشائبة عالقة به بعد ذلك .

. . .

أراد أحمد بن حنبل أن يستوثق مما إذا كان الحارث المحاسبى ضعيف الصلة بالله حقاً أم أنه جار عليه فى حكمه . فاحتال لذلك هو واسماعيل ابن اسحق السراج . يقول اسماعيل : قال لى أحمد : يبلغنى أن الحارث هذا يكثر الكون عندك ، فلو أحضرته

منزلك ، وأجلستنى من حيث ألايرانى فأسمع كلامه . فقصدت الحارث ، وسألته أن يحضرنا تلك الليلة ، وأن يحضر أصحابه . فقال : فيهم كثرة ، فلا نردهم على الكسب والثمن . فأتيت أبا عبد الله (يعنى أحمد بن حنبل) فأعلمته أن الحارث وصحبه سيحضرون فحضر إلى غرفة عندى ، واجتهد فى ورده . وحضر بعد ذلك الحارث وأصحابه ، فأكلوا ، ثم صلوا العتمة ، ولم يصلوا بعد ذلك . وقعدوا بين الحارث لا ينطقون إلى قريب نصف الليل . ثم ابتدأ رجل منهم فسأل عن مسألة ، فأخذ الحارث فى الكلام ، وأصحابه يستمعون ، كأن على رؤوسهم الطير . فمنهم من يبكى ، ومنهم من يحن ، ومنهم من يزعق . وهو فى كلامه . فصعدت فى الغرفة ، لأتعرف حال أبى عبد الله ، فوجدته قد بكى ، حتى غشى عليه . فانصرفت إلى الحارث وصحبه . ولم تزل تلك حالهم حتى أصبحوا وذهبوا . فصعدت إلى أبى عبد الله ، فقال : ما أعلم أنى رأيت مثل هؤلاء القوم ، ولا سمعت فى علم الحقائق مثل كلام هذا الرجل .

لم ير أحمد مثل هؤلاء القوم . ولم يسمع فى علم الحقائق مثل كلام هذا الرجل. إنهم قوم يتميزون بالإخلاص والوصول إلى الله ، لا ينكر عليهم ذلك أحد ، حتى الإمام أحمد الذى ناصبهم العداء وشهر بشيخهم الحارث ابن أسد المحاسبى . ويرى بعض الكتاب أن الإمام لم يغير رأيه فى الحارث تغييراً كاملا . ونحن نميل إلى أن أحمد بن حنبل لم يذع ما رأى من حال الحارث وأصحابه على مدى واسع خوفاً من أن يتبعه الناس ويتأثروا به نأخذ ذلك من نصيحته لاسماعيل ابن إسحق السراج بعدم صحبتهم . وما أبدع هذا التعليق الذى علق به صاحب طبقات الشافعية على هذه النصيحة إذ يقول « تأمل هذه الحكاية بعين البصيرة . واعلم أن أحمد بن حنبل إنما لم ير لهذا الرجل صحبتهم لقصوره عن مقامهم ، فإنهم فى مقام ضيق لا يسلكه كل أحد ، فيخاف على سالكه ، وإلا فأحمد قد بكى وشكر الحارث هذا الشكر » .

وقد كان لهذه الخصومة ، التى ثارت بين الإمام الفقيه والإمام المتصوف أثرها بعد ذلك ، فى المعركة التى شب أوارها بين ابن تيمية الفقيه الحنبلى وبين المتصوفة ، فهذه المعركة ترجع فى بعض أسبابها إلى هذا الميراث الذى انحدر إلى ابن تيمية من إمامه وشيخه أحمد بن حنبل .

محمود عبد العزيز محرم
مدرس بمبت غمر الثانوية

ابن سبعين

والإمبراطور فردريك

العلامة الصوفى ، عبد الحق بن سبعين ، من أكبر تلاميذ الشيخ محيي الدين بن عربى . . وكان يلقب « بقطب الدين » وهو من أبناء مدينة « مرسية » بالأندلس .

يقول عنه المؤرخ ـ المقرى ـ فى كتابه « نفح الطيب » : « . . . وهو من بيت كريم نابه الذكر ، ونشأ رحمه الله ترفاً مبجلا فى ظل جاه ونعمة ، وكان وسيما جميلا ملوكى البزة ، عزيز النفس ، قليل التصنع ، وكان آية من الآيات ، فى الإيثار والجود بما فى يده » .

وقد أنشأ ابن سبعين فى التصوف « جماعة السبعينية » ذات الأثر الكبير فى الشمال الإفريقى .

وترك فى التصوف آثاراً علمية خالدة منها : « عقيدة المحقق ، وطريق السالك المتبتل » و « الدرة المضيئة » و « نصائح صوفية » .

وهو الذى أنشأ الوثيقة التى بايع بها أشراف مكة المستنصر بالله محمد ابن أبى زكريا بن عبد الواحد بن حفص ، صاحب إفريقية ، وقد خطبوا له بعد ذلك بعرفة .

وقد لقى ابن سبعين من خصوم التصوف عنتاً وإرهاقاً طوال حياته ، ولاحقته الخصومة بعد مماته ، وظفر من مدرسة ابن تيمية بالنصيب الأكبر من القدح والتشهير .

ويأتى اليوم مستشرق عالمى هو : « آنخل جنثالث بانثبا » الإسبانى ، فيسجل لابن سبعين موقفاً من مواقفه الخالدة فى إعلاء شأن العلم الإسلامى ، والمعرفة الصوفية .

يقول فى كتابه « تاريخ الفكر الأندلسى » : « . . . وقد طار صيت ابن سبعين فى حياته كل مطار ، وبلغت أخباره علمه الواسع مسامع كونت روما والبابا ، كما يفهم من كلام ابن الخطيب ، وعندما عرضت للإمبراطور فردريك الثانى ملك صقلية ، بضع مسائل فلسفية ، بعث يستفتى فيها علماء العصر ، فى مصر أو الشام ، أو العراق ،

أو آسيا الصغرى ، أو اليمن ، فلم يجد عند أحد منهم ما ينقع غليلا ، فأرسل بها إلى إفريقية ، وعهد إلى ابن سبعين فى الإجابة عليها .

قال ابن الخطيب فى الأحاطة : « ولما وردت على ـ سبته ـ المسائل العقلية ، وكانت جملة من المسائل الحكمية ، وجهها علماء الروم تبكيتاً للمسلمين !! ؟ » انتدب للجواب المقنع عنها على فتاء من سنه ، وبديهية من فكرته ، فكتب فى ذلك رسالة لا زالت بين أيدينا تعرف : « بالأجوبة على المسائل الصقلية » وهذه المسائل ، أربعة أسئلة ، نصها كما يلى نقلا عن إجابات ابن سبعين :

أولا : الحكيم « أرسطو » يفصح فى جميع أقاويله بقدم العالم ، ولا شك أنه رأيه ، إلا أنه إن كان قد برهن عليه ، فما برهانه ؟ وإن كان لم يبرهن فمن أى قبيل هو كلامه فيه ؟

ثانياً : ما هو المقصود من العلم الإلهى ؟ وما مقدماته الضرورية ، إن كان له مقدمات ؟

ثالثاً : المقولات : أى شىء هى ؟ وكيف يتصرف بها فى أجناس العلوم حتى يتم عددها ؟ وكم عددها ؟ وهل يمكن أن تكون أقل ؟ وهل يمكن أن تكون أكثر ؟ وما البرهان على ذلك ؟

رابعاً : ما الدليل على بقاء النفس ؟ وهل تبقى ؟ وأين خالف الحكيم « أرسطو » الإسكندر الافروديسى » .

وقد أجاب ابن سبعين على تلك الأسئلة فى رسالة لا زالت بين أيدينا .. تتحدث عن عظمة الفكر الصوفى وإلهاماته وفتوحاته .

هذه مواقف رجال التصوف ، وعلماء المعرفة الصوفية ، فماذا يقول خصوم التصوف ، وخصوم ابن سبعين !! ؟

رابعة العدوية ... والحب الإلهى

أحبك حبين حب الهوى ... وحباً لأنك أهل لذاكا
فأما الذى هو حب الهوى ... فشغلى بذكرك عمن سواكا
وأما الذى أنت أهل له ... فكشفك للحجب حتى أراكا
فلا الحمد فى ذا ولا ذاك لى ... ولكن لك الحمد فى ذا وذاكا

جبريل يسأل ورسول الله يجيب

للأستاذ محمود شلبي

« . . . قال فأخبرني عن الإيمان قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت . . . . » .

(أخرجه مسلم)

يسأله جبريل عليه السلام : فأخبرني عن الإيمان .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن تؤمن بالله .

وهنا نقف وجهاً لوجه مع إحدى المشكلات الإسلامية الكبرى.

هل الإسلام شيء والإيمان شيء آخر ؟ .

فمن قائل أنهما بمعنى واحد ، ولهم في ذلك نصوص ونصوص ، ومن قائل أنهما شيئان متغايران ، ومن قائل أنهما يتلازمان حينا ويفترقان حينا ، ومن قائل أن الإسلام هو الانقياد الظاهري ، والإيمان هو الانقياد الباطني .

وعندي أن ذلك كله يشير إلى الموضوع من زاوية ويغمض عينيه عن بقية الزوايا .

والحقيقة لا تسطع مشرقة إلا إذا أحطت بها علماً من جميع جوانبها .

إنك إذاً من العالمين بها .

ومالنا نحن وهذا الذي يقوله الناس ، أيا كان متمامهم من العلم أو الفقه أو الفلسفات ! .

ومالنا ندع الإشراق النبوي ، والحلاوة القدسية ، التي تترقرق من النبع الإلهي صافية خالية دانية قطوفها ، ونغرق أنفسنا في حدود وسدود وقيود من مفاهيم الناس ؟ .

إن رسولنا الذي أرسله الله إلينا عرف الإسلام تعريفاً جامعاً مانعاً ، فلما جاءه جبريل يسأله عن الإيمان ، عرف الإيمان تعريفاً متبايناً للإسلام.

إذاً هذا شيء وذلك شيء .

الإسلام له حدود ومعالم ، والإيمان له حدود ومعالم كذلك .

فلننته عند قوله صلى الله عليه وسلم، ولا نقدم بين يدى الله ورسوله .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن تؤمن بالله . . .

إن رأسى لتدور وتدور ، إن أنا تركتها تفكر فى ذلك المعنى .

وهل الله مما يستطاع التفكير فيه ؟

إنى لا أدرى كيف التعبير ولا ماذا يمكن أن يقال .

أن تؤمن بالله . أن تصدق بوجود الله .

هل هذا هو المعنى ؟ .

إنه يبدو تعبيراً تافهاً .

إذاً ماذا يكون المعنى ؟ .

إن الله سبحانه وتعالى خلق كل شىء ليعبده ليس إلا ، فكل شىء يسبح بحمده ، فينبغى أن تؤمن أنت بوجود الله ، لأنك إن تأبيت وأنكرت ، فكل ذرة فيك تسبحه رغم أنفك ، فأولى لك ثم أولى ، أن تتجاوب مع أنغام الكون السارية فى كل شىء .

* * *

ثم يقول صلى الله عليه وسلم : وملائكته . . . إن هناك ألوانا لا حصر لها من الملائكة ، هناك حملة العرش ، وهناك ملائكة الجنة ، وملائكة النار ، وملائكة السماوات ، وملائكة القطر ، وملائكة الموت ، وملائكة النفخ ، ، وملائكة الرحمة . وملائكة العذاب ، و . . و . . و . . وما يعلم جنود ربك إلا هو . . .

الأمر إذاً شىء كبير . . .

إن هناك مخلوقات لا حصر لها غير سكان هذه الأرض من إنس وحيوان .

وكل هذه المخلوقات تسمى ملائكة ومنها ما هو أضخم من السماوات والأرض مجتمعة ، ومنها ما هو دون ذلك ، ولكل درجات عند ربه ، وما منهم إلا له مقام معلوم ، وإنهم لهم المسبحون ، وإنهم لهم الصافون .

هل هذا مما يستطاع التفكير فيه ؟.

إنه شىء فوق مدارك الإنسان المحدودة .

ولكنه حق .. إى والله حق .. وإن غاب عن حواسنا وأعيننا .

* * *

ثم يقول صلى الله عليه وسلم : وكتبه .

أصدق بالقرآن والإنجيل والتوراة وصحف إبراهيم ، مما أعلم ومما لم أعلم .

ولله كتب لم يقصصها علينا ، كما أن له سبحانه رسلا لم يقصصهم علينا ، رحمة بنا لا نسيانا ، ذلك لأن عقولنا لا تسع أكثر مما قص علينا .

ولقد ضاقت عقولنا ، وقصرت أفهامنا عن القيام بما أنزل إلينا ، فكيف يكون الحال لو أن الله حدثنا بكل شيء ، وفصل لنا كل ما حدث ؟.

لقد كان من الممكن أن يقص الله علينا قصة الرسل جميعاً ، وقصة كتبهم كلها ، وإن هذا لشيء هين على الله .

ولكن الله يعلم ضعفنا وقلة حولنا ، فأمسك عنا شيئاً وحدثنا بشيء .

أومن بكتبه جميعا ، ما قصها وما لم يقصصها .

لأنها كلها صادرة منه ، فهي كلها جاءت بحقيقة واحدة ، اختلفت طرق الأداء واتحدت غاياتها .

* * *

ثم يقول صلى الله عليه وسلم : ورسله .

من آدم عليه السلام إلى محمد عليه الصلاة والسلام ، أومن بهم جميعا ، لأنهم جاءوني من عند ربي ، وما جاءوني إلا بما يرضني ، فكيف لا أومن بهم ؟ .

إن الله أرحم بي من والدي ، فهو إذا لا يبعث إلى إلا ما فيه خيري .

إذا ينبغي توقير الرسول ، و تعظيمه وطاعته ، أيا ما كان زمانه ومكانه وأمته التي أرسل إليها .

آدم ، نوح ، إبراهيم ، موسى ، عيسى محمد ما هؤلاء جميعا ؟ .

إنهم الرحمة المهداة إلى البشر الضعاف الضالين ، ليأخذوا بأيديهم إلى الله .

فهم جميعاً على العين والرأس .

أمرهم أمر الله ، وطاعتهم طاعة الله ، وحبهم حب الله ، وطريقهم طريق الله .

عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين .

* * *

ثم يقول صلى الله عليه وسلم : واليوم الآخر .

واليوم الآخر ـ في لغة الشريعة ـ من لحظة الموت حتى يدخل الناس إما الجنة وإما النار ، ثم ما يكون لهم بعد ذلك من نعيم أو عذاب ، لا يعلم منتهاه إلا الله .

أومن باليوم الآخر ، من أوله إلى آخره .

أومن أنني في يوم ما ـ معلوم لله ـ

وساعة ما ـ مجهولة لى ـ سيأتينى الموت ، فجأة أو بغتة ، فيبهتنى ويأخذنى فلا فوت .

أومن انى سوف أموت ، وأترك كل هذه السخافات التى تشغلنى وتشغل سائر الناس .

أومن أننى سأترك أولادى وامرأتى ووالدى وأحبائى وأصدقائى ، وأنسلخ عنهم جثة ، لا تساوى شيئاً ، لو عرضت للبيع لزهدت فيها حتى الكلاب .

ذلك أنا كإنسان مادى ، أوحفنة من تراب ورماد .

أما أنا كروح كرمه الله ، فأومن أننى إن كنت مقبولا فروح وريحان وجنة نعيم ، وإن كنت مطروداً فعذاب وجحيم .

أومن بذلك ، ومتى آمنت بذلك ، هانت الدنيا فى ناظرى ، وتخلخلت القيم التى يحترمها الناس فى تفكيرى .

واتجهت بكلى إلى الله ، أحترم ما يحترم ، وأحتقر ما يحتقر ، وأحب ما يحب ، وأكره ما يكره .

أما تلك القواعد والقيم التى ابتدعها الناس ، وظنوا أنها مقدسات وقوانين ، فلا وزن لها فى تفكيرى طالما أنها لا وزن لها فى تقييم الله .

أومن بذلك كله ، وأومن أننى يوماً ما سأحمل على كواهل الرجال ، نعشاً كريه المنظر ، غبى الإخراج .

ثم أدلى فى الحفرة ، ويتولى عنى ما كنت مغروراً بهم وكانوا بى مغرورين ، حامدين الله أن تخلصوا من جيفتى التى كانت تثير الرعب فى نفوسهم وهى بالمنزل .

وأومن بحياة القبر ، إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار .

وأومن بالنفخة الأولى التى سيصعق فيها كل شىء ويهلك .

وأومن بالنفخة الثانية التى سيبعث فيها كل شىء .

وأومن انى سأحاسب ، وسوف أساق إلى الجنة أو إلى النار .

وأومن وأومن . . . بما فصله كتاب الله وسنة رسول الله .

ما هذا ؟ .

أذلك هو اليوم الآخر ؟

بلى . . . بل هذه إشارات فى اليوم الآخر وإنه لأكبر مما تظنون .

* * *

ثم يقول صلى الله عليه وسلم : ونؤمن بالقدر خيره وشره .

تلك مشكلة المشاكل ، وعقدة العقد ، فى علم البشر الضعاف ، أما فى علم الله فهى ليست شيئاً ، إنها معلومة له سبحانه ، مستقرة عنده ، ماضية فى خلقه كما أرادها .

والذين فى قلوبهم زيغ يقولون فيها أقوالا ، ويؤلفون فيها كتباً ، ويجادلون فيها جدلا .

بل لم تظفر قضية باهتمام الناس بمثل ما ظفرت به تلك القضية .

كل إنسان يفكر فيها ، وكل إنسان له رأى فيها .

لو أحصيت ما كتب عنها فى التراث الفكرى ، لرأيته ألوفاً وألوفاً من الكتب .

ولو تسمعت إلى أقوال المتجادلين فيها من آدم حتى قيام الساعة ، لسمعت ما لا حصر له من الخلق وهم يتحاورون فيها .

والأمر فعلا وحقاً أمر خطير .

ولكن هل من المستطاع الوصول إلى سر القدر ؟

هل هناك من إجابة شافية كافية على ذلك السؤال ؟

ما هو القدر ؟

القدر هو ما قدر الله على الإنسان من خير أو شر .

جميل . . . ولكن لماذا قدر لذلك الإنسان غير ما قدر لذاك ؟

لست أدرى .

جميل . . . فلماذا إذاً هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار ؟

لست أدرى أيضاً .

إذاً أنت أيها الإنسان لست تدرى شيئاً ؟

هذا هو الحق . . . بل وأشد من ذلك ، إنك ستظل لا تدرى عن ذلك شيئاً .

فالخير لك أن تبتعد عما هو ليس من قبيل المعرفة الإنسانية .

إن القدر هو السياسة العليا لله - إن جاز هذا التعبير - وهو أمر يعلمه الله وحده .

ولن يسمح لغيره بعلمه .

وما ذلك إلا رحمة للعالمين .

فمن القدر - مثلا - الساعة التى تموت فيها ، أخفيت عنك رحمة بك ، ويمكنك أن تتصور حالك لو كشف لك الغطاء وعلمت متى تموت .

فلا مخرج إلا التسليم .

التسليم التام المطلق لله . . .

وهذا هو الإيمان بالقدر خيره وشره . . .

« قل كل من عند الله . فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً ؟!! »

محمود شلبى

من دعائم الإسلام

«الأخاء والمساواة»

للأستاذ عبد الرحمن سلامه العطار

ركيزتان قويتان رفع الإسلام سمكهما عاليا ونشر ألويتهما صاعدة خفاقة وحمل المسلمون مشاعلهما وطوفوا بها شرقاً وغربا وشمالا وجنوبا فأناروا بها قلوباً مظلمة ، وفتحوا آفاقا مجهولة

ولم يصورهما الاسلام نظريتين علميتين يتغنى بهما الفلاسفة ، ويتشدق بهما علماء الاجتماع دون أن يكون لهما أثر فى واقع الحياة ، وسلوك الناس بل طبقهما تطبيقا عمليا شاملا . وجعلهما أساساً ركيزاً فى بناء مجتمع متكافل رشيد .

فهذا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم مالبث أن استقر به المقام فى المدينة عقب هجرته من مكة ونجاته من أذى قريش وعنتها حتى عقد مؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، توثق الصلة بينهم وتأتى على الفروق البيئية ، والقبلية ، وتقضى على عوامل الأثره ، والفردية وتسوق المسلمين إلى الصالح العام ، وتقودهم إلى خير الجماعة عن رضا وطواعية ، ويقين أن هذا قربة إلى الله ودين . .

فلا عجب أن نرى فضيلة الإيثار قد تجلت فى نفوس الأنصار لاخوانهم المهاجرين سجية فطرية ، وطبيعة غلابة حتى لقد فاخر القرآن الكريم بهم فى قوله تعالى « والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم ، يحبون من هاجر إليهم ، ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » . ومافتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل المسلمين على الأخوة ويدفعهم إلى

وسائلها باللين تارة ، والعنف أخرى حتى استل من نفوسهم الإحن والضغائن وغدوا فى دين الله إخوة متحابين . .

فالمسلم أخو المسلم يقاسمه سراءه وضراءه ويشاطره آلامه ، وآماله ، ويحمل عنه من أعباء الحياة ماينوء به ويضنى عليه مما أفاء الله عليه من فضل مايرفه به عنه . .

والمسلم أخو المسلم لايظلمه ، ولا يسلمه ، ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته وترى المؤمنين فى تراحمهم وتعاطفهم وتوادهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر »

و « كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه »

و « إنما المؤمنون إخوة ، فأصلحوا بين أخويكم ، واتقوا الله لعلكم ترحمون » ولم يألف الناس منذ خلق الله البسيطة كالإسلام دينا قضى على الفوارق الجنسية وسوى بين الطبقات وأزال الحواجز بين البيض والملونين وجعل الناس فى نظره سواء لا فرق بين غنى وفقير وعالم وجاهل ، وأبيض وأسود ، وعربى وعجمى « كلكم لآدم وآدم من تراب لافضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى » « إن أكرمكم عند الله أتقاكم »

« ألا إن أقواكم عندى الضعيف حتى آخذ الحق له ، وأضعفكم عندى القوى حتى آخذ الحق منه » .

فأين هذا مما نراه الآن فى الدول الكبرى المتحضرة ؟ ! !

إن أمريكا وقد بلغت شأوا بعيداً فى العلوم الآلية وتفجير الذرة وكادت تسيطر على العالم الغربى لازالت راسفة فى قيود العنصرية المقيتة فجامعاتها مفتوحة للبيض محرمة على الزنوج ، والعربات العامة ، والمطاعم . ودور النيابة مفتحة الأبواب للبيض موصدة أمام السود وكأن هؤلاء ليسوا آدميين فلا يستحقون أن يعيشوا فى دنيا الناس وما يحدث فى أمريكا يحدث مثله فى انجلترا . .

وفرنسا الضعيفة المتخاذلة التى قضى عليها التحلل الاجتماعى ، وجثت على ركبتيها لأول ضربة سددها هتلر فى الحرب العالمية الثانية مازالت تتشبث بهذين المبدأين ، وتزعم زورا وبهتانا أنهما نتاج لثورتهما مع أن واقع الأمر ومنطق التاريخ يكذبها فقد سبقها الإسلام بتقرير هذين المبدأين

بثلاثة عشر قرنا ، بل لعلها استقتهما من الإسلام ينبوعهما الوحيد .

وليتها آمنت بهما كما آمن الإسلام ولكنها شوهت جمالها ، وأحالتهما إلى أشباح هزيلة يندى لها جبين الإنسانية وتذهب النفوس عليهما حسرات، فهي تؤمن بالإخاء والمساواة للفرنسيين داخل بلادهم فى الوقت الذى تأبى فيه على إخواننا الجزائريين أن يعيشوا أحراراً فى بلادهم وتسخر كل امكانياتها الحربية وأسلحة حلف الأطلنطى لتبيدهم أفراداً وجماعات فى حرب بربرية لم يعرف لها التاريخ مثيلا ، ثم تدعى الإخاء الإنسانى ، وقد تجردت عن كل معانى الإخاء ، وستظل أعمالها فى الجزائر وصمة عار لن يفارقها مدى التاريخ !

وستبقى ذكراها عالقة بأذهان العالم الذى يتطلع إلى الحياة الانسانية الكريمة ! ! بل ستضحى هذه الأعمال الوحشيه وقوداً لنار لن تخمد جذوتها حتى تأتى على كيان فرنسا من القواعد وما يوم النصر ببعيد ! .

عبد الرحمن العطار — المدرس بالازهر

إلى السادة

المشتركين والوكلاء

ترجو إدارة المجلة من السادة المشتركين والوكلاء ، أن تكون اذونات البريد والحوالات المالية الخاصة باشتراكات المجلة باسم سماحة السيد محمد محمود علوان . وأن تكون جهة البريد هى : بريد الأزهر .

كما ترجو أن تكون الرسائل الخاصة باسم السيد/ سكرتير التحرير . وذلك تسهيلا لاجراءات العمل ...

محمد
الرسالة والرسول

للدكتور نظمى لوقا

عرض وتحليل الأستاذ سعيد مكرم المحامى

حين أقبلت على هذا الكتاب أقرأه أخذنى الاشفاق على مؤلفه إذ يتصدى وهو المسيحى — لبحث كهذا شديد الحساسية يتطلب فى الباحث روحاً عظيما لا يميل مع الهوى وقلباً كبيراً لا يعرف التعصب وقلماً لبقا لا يتعثر ولا يكبو وبصيرة مضيئة لا تضل أبداً طريقها إلى الحق والانصاف .

وأشهد أننى ما كدت أمضى فى قراءة صفحات من الكتاب حتى بدأ الإطمئنان يأخذ طريقه إلى قلبى فالرجل لم يرتجل هذه الدراسة متسرعاً إلى شهرة أو مستجيباً لنزوة بل هو يمضى فى بحثه على منهج علمى منطق لحمته الحيدة وسداه الانصاف ، وأشهد أيضا ـ وقد رافقته إلى نهاية كتابه ـ أنه لم يتخل عن منهجه العلمى ذاك إلى آخر بحثه مما يضفى على كتابه قيمته الموضوعية الكبيرة التى تجعل منه منارا ومحجة لكل باحث عن الحقيقة حقيقة هذه الرسالة وحقيقة هذا الرسول

وهكذا يبدأ الدكتور نظمى لوقا كتابه بمقدمة تظهرنا على ما يتمتع به من خلق علمى رصين فهو يقول فى كلمات حكيمة مضيئة (من يغلق عينيه دون النور يضير عينيه ولا يضير النور ومن يغلق عقله وضميره دون الحق يضير عقله وضميره ولا يضير الحق فالنور منفعة الرائى لا للمصباح والحق منفعة واحسان إلى المهتدى به لا إلى الهادى إليه . ومامن آفة تهدر العقول البشرية كما يهدرها التعصب الذميم الذى يفرض على أذهان أصحابه وسرائرهم ماهو أسوأ من العمى لذى البصر ومن الصمم لذى السمع لأن الأعمى قد يبقى بعد فقد البصر ومن الصمم لذى السمع لأن الأعمى قد يبقى بعد فقد البصر إنسانا والأصم قد يبقى بعد فقد السمع انسانا ، أما من اختلت موازين عقله أو موازين وجدانه حتى ما يميز الخبيث من الطيب فذلك ليس بانسان بالمعنى المقصود من كلمة انسان

وعلى ضوء هذا النهج ينتقل الدكتور نظمى لوقا إلى موضوع الكتاب فيبدأ « بالآية الكبرى » . الآية الحاسمة فى فى اثبات صحة النبوة لمحمد عليه

السلام وفى اثبات صدق رسالته بل اثبات هذه الصفحة وهذا الصدق لأى رسول ولاية رسالة على الاطلاق .

لقد وقف يبحث عن مقياس لا يضل عن الحق ، وحجة تنهض شاخة فى وجه أى شك أو اعتراض ولم يطل به الوقوف فقد استبان له النهج المستقيم إنه فى (صدق الكلمة من حيث هى فإن الحقيقة آية نفسها تحمل برهانها فى مضمونها فيطمئن إليها العقل ويبدو ماييانها هزيلا واضح البهتان

إن مقياسه إذن هو موضوع الرسالة هو مضمونها . . هو لبها . . هو جوهرها (وذلك هو الحد القوام الذى لا افتئات فيه على انصاف ولا ينبغى أن يحيد عنه من له فى النزاهة مطمح

وبعد أن انتهى الدكتور إلى أنه ليس من المنطق ولا من الانصاف فى شىء أن نطالب إلى محمد صلى الله عليه وسلم أن يقدم برهانا عيانيا على وحيه وهو مالم يطالب به قط رسول من قبل مما يوجب التسليم من حيث المبدأ بحقيقة هذا الوحى ولا يبقى حينئذ إلا أن نضع مضمونه تحت المجهر المبصر النزيه . .

إن لكل دين موضوعه الذى يفرضه تباين مستويات الخط البيانى للتطور البشرى ، فإذا كان الدين غير ذى موضوع أو كان موضوعه صورة مكررة مما سبقه من أديان حق لنا بل وجب علينا أن ننكر عليه صفة الدين فمن أخص خصائص أية دعوة جديدة أن يكون لها موضوع وأن يتميز هذا الموضوع بطابع معين يغاير فى قليل أو كثير طابع ماسبقه من عقائد . وإلا فلا معنى لتعاقب الأديان والشرائع وانتفت الحكمة من الأديان على الاطلاق . ومن ثم فقد أخذ الدكتور على عاتقه بحث طبيعة الأديان الكتابية الثلاثة ، اليهودية والمسيحية والاسلام بحثاً موضوعياً فى ثلاثة فصول بعد أن مهد لهذا البحث بفصل عقده عن الانسان والدين تعقب فيه الجذور البعيدة للعقيدة الدينية فى ضمير الانسان ورافق هذه الفكرة منذ كانت تحبو فى مراجلها البدائية السحيقة إلى أن استوت عقيدة ناضجة تملأ يقين العقل السليم وتطمئن اليها القلوب الذكية .

وهكذا فى لمحات سريعة واضحة عرض علينا صور الرحلة الخالدة للعقل البشرى عبر التاريخ من القول بالتعدد والتجسيم الى القول بالروح ثم الى القول بالوحدانية التى تجمع القضاء والقدر الى وحدة الوجود أو الى الفناء الأسمى ثم الى القول بأن الله هو الذات الكاملة بالاطلاق وأنه مصدر الوجود لكل

وجود . ثم ينتهى المطاف بالعقل البشرى وقد بلغ رشده الى الايمان (بوحدانية الله ذاتا قائمة فوق كل قيام هى مصدر الحق والوجود لا تدرك ولا يحاط بها وانما يعيها الانسان بما فطر عليه من طلب العقيدة ويقيس صوابها بما ترضى لديه من ملكة الاعتقاد ومن فطرة الوجود التى يأنسها منطبعة فى أغوار نفسه فيحصل لديه الإيمان الذى لا محل معه لسؤال لحصول الطمأنينة التى تشبه النور فى رأى العيان ، وليس النهار بحاجة إلى دليل ولا النور بحاجة إلى برهان) ،

ثم تحدث عن اليهودية (كدين شعب) وهو بهذه المثابة أوشك أن تكبله المراسم والطقوس على الرغم من أنه دين توحيد وتنزيه وسرعان ما استحالت طبيعته الطيبة النقية على أيدى بنى اسرائيل إلى مسخ يزين لهم أن (الحق والعدل مما شرع الله غير مطلوبين من العبرانى إلا نحو عبرانى مثله أما مع غير العبرانى فلا حق له عندهم ولا شرع ولا عهد) .

وازاء هذه المادية الغليظة والمراسم الثقيلة والضلال المبين التى شوهت وجه هذه العقيدة كان لابد أن ينبثق دين آخر لا يكون (دين شعب) دون آخر بل من أخص خصائصه أن يكون (دين قلب) ، القلب الإنسانى من حيث هو كذلك بصرف النظر عن الفوارق الاقليمية والشعوبية ، وهكذا كان هم المسيحية الأول أن تصعد بالإنسان بعيدا عن أوضار المادة وتحرره من قيود المراسم والطقوس وتحلق به إلى أجواء تموج بالغبطة والرضا والايمان ،

(ولكن البشرية لم تنضج لهذا الدور نضوجا واحدا متساوقا وأن عقيدة القلب الخالص من كل علائق المادة هى بطبعها عقيدة الأفراد الأفذاذ أما السواء من الناس فللحس على قلوبهم أبدا سلطان غير مجحود ولا مردود) .

ومن جديد تردت الإنسانية فى مهاوى التعدد والتجسيم وعبودية المراسم فكان لابد أن يأتى دور (دين البشر) . دين يرد للإنسانية شتات ايمانها بالله ويؤكد يقينها بوحدانيته وانه سبحانه هو الأول والآخر وانه الكامل ذاتا وصفات وإنه على كل شىء قدير .

(وهكذا لا بد أن يكون هذا الدين الجديد عقيدة تصلح للكافة العامة منهم والخاصة يشعر كل منهم أن له عقيدة يطمئن إليها وأن هذه العقيدة رباطه بالدنيا وبالآخرة . بالله والإنسان) .

(وكان الإسلام هو الذى انبرى للنهوض برسالة هذا الدين) ثم يمضى الدكتور نظمى لوقا يجلو الخطوط العريضة لهذا الدين فيفصل القول فى طبيعة إيمان المسلم بالله فى فصل توجه باسم الجلالة (الله) ثم ثنى بفصل عن تناول الفكر الإسلامى لمسألة (النبوة) بعامة ونبوة محمد صلوات الله عليه بخاصة .

بقيت بعد ذلك هـــذه الزوابع والشبهات التى يثيرها خصوم الإسلام من حوله ، ولئن حسبها أولئك المبطلون معـارك توهن من صرحه المتين فإن الدكتور نظمى لوقا لا يتركهم لوهمهم وسبيله إلى ذلك كنهجه دائمـا الدليل المنطقى والفكرة النافذة والحسم المحايد النزيه وعلى هذه الوتيرة تناول بالتحليل والتعليل موقف الإسلام من المرأة فى فصل (حواء) ثم موقف الإسلام من الحكم والحاكم فى فصل (لا قيصر) ثم كشف عن موقف الإسلام من الكهانة والوساطة بين رب الناس والناس فى فصل (مع الله)

ولا يقف الدكتور نظمى لوقا عند نهاية هذا البحث الموضوعى الممتع لرسالة محمد صلوات الله عليه بل يتخطى هذه الحدود بقلمه المنصف فى ثلاثة فصول خاطفه ناصعة يتوسل بها إلى التعرف على الرسول فى شخص محمد عليه السلام . وكان (لا بد مما ليس منه بد) فكما انتهى به رشده الفكرى وبصيرته العلمية وموازينه القسط إلى إلى الايمان بدعوة محمد عليه السلام انتهت به أيضا إلى الإيمان بمحمد رسولا نبيا وعلى انغام هذا اللحن الصوفى المحلق يتهادى قلم الدكتور نظمى لوقا إلى الدفة الأخيرة لكتابة القيم :

لا خيرة فى الأمر . .
ما نطق هذا الرسول عن الهوى
لا خيرة فى الأمر . .
ماضل هذا الرسول وما غوى
لا خيرة فى الأمر . .

وما صدق بشر إن لم يكن هذا الرسول بالصادق الأمين .

فسلام عليه بما هدى من سبيل وما قدم من نهج وما بين من محجة .. وسلام على الصادقين .

وبعد فلكى أكون صادقا مع نفسى ومع القارىء يجب أن أعترف أن هذه العجالة لاتغنى قتيلا عن قراءة هـذا الكتاب الذى يعلم المرء كيف يكون منصفا حتى فى أشد الأمور تعلقاً بالعواطف والمشاعر، فى أمور العقائد والاديان والإيمان .

إنه كتاب الساعة وكل ساعة ما بقيت فى ضمائر الناس عقـائد وما دعا داع إلى دين ...

سعيد مكرم المحامى

محاسبة النفس عند الصوفية

للأستاذ محمد عيد الشافعى

أمهات الرذائل ثلاثة . الشهوة والغفلة والمعصية . وأمهات الفضائل ثلاثة . اليقظة والعفة والطاعة . وللرذيلة أصل وللفضيلة أصل. الأصل لكل رذيلة فى النفس الرضا منك عنها والأصل لكل فضيلة فى النفس عدم الرضا منك عنها . الرضا منك عن نفسك يتبع النفس هواها وعدم الرضا منك عن نفسك يتبعها ما أمر به مولاها . وقال صلى الله عليه وسلم « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى » وقد أمرنا الحق تبارك وتعالى بمحاسبة أنفسنا قبل القدوم عليه فقال (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الخاسرون) فمن حاسب نفسه قبل الحساب فقد ربح ومن ترك نفسه وهواها فقد خسر لذلك كانت المحاسبة للنفس من الأمور المطلوبة للسالك فى طريق الله وقد دلنا الحق تبارك وتعالى على طريق النجاة بقوله (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم) والمجاهدة فى الله بعد الفتح هى مجاهدة النفس بعدم تركها لهواها وذلك لايكون إلا بالمحاسبة ، وبقليل من التدبر فى هذه الآية الكريمة التى بينت لنا طريق النجاة يتبين لنا أن هناك معاملة بين العبد وربه اعتبرها الحق متاجرة بينه وبين خلقه . ورأس مال هذه المتاجرة هو التقوى . والعقل الناقد البصير فى الانسان هو المتجر بتقوى الله مع الله من وجه . ومع النفس فى المرء من وجه آخر . أما الحق تبارك وتعالى فهو العميل المشترى قال تعالى (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) وقال تعالى (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) وأما النفس . فهى الشريك العامل فى

هذه التجارة أى فى رأس المال. وأول واجب على العقل أن يكون محافظاً كل المحافظة على ماله إذ أن هذا المال للعقل إنما هو فى الحقيقة بمثابه الروح له ففى خسارته خسرانه. كما أن واجب النفس وهى الشريك العامل أن تجد فى استثمار رأس المال مع المحافظة عليه من كل آفة حتى ينمو ويتحقق لها وللعقل الربح وإلا حقت لهما الخسارة معاً. فاجتهاد النفس فى العمل زيادة رأس المال ونموه. واجتهادها فى الطاعة. والمحافظة على رأس المال من كل آفة. هى اتقان العمل وبراءته من كل شائبة للشيطان والهوى حتى يكون العمل خالصاً لله تعالى ليس فيه لغيره شريك وإلا ردت السلعة إذ أن ذلك هو شرط العميل المشترى كما نص على ذلك بقوله (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء) وقوله جل شأنه (أنا أغنى الأغنياء عن الشركة فمن عمل عملا أشرك معى فيه غيرى فهو له، وإرجاع السلعة خسارة فى رأس المال. ثم إن أخلصت النفس فى العمل ولكنها تكاسلت عن أدائه فى حدود ما أمر الله تنج لا شك عن ذلك خسارة. فى رأس المال كذلك إذ أن الوقت جزء منه وقيمته لا تعوض ولا ترد بفواته وصاحب المال مع الشريك العامل لا يخلو من أحوال أربعة. إما أن يكون راضياً عنه كل الرضا فلا يراقبه ولا يؤثر عليه ماله ويتركه يفعل ما يشاء - وإما أن يحسن الظن به مع المراقبة — وإما أن لا يحسن به الظن بل يكون منه على حذر — وإما أن يقف منه موقف المتهم دواماً حرصاً منه على سلامة المال ودوام الخير للشريكين معاً — إن كان الأول فالخسارة لاشك محققة لا الكسب لأن النفس تميل مع الهوى بطبيعتها وما فيها من شهوة — وحفت النار بالشهوات كما قال صلوات الله عليه — وإن كان الثانى. فالمراقبة مع حسن الظن سبيل للخدعة - وإن كان الثالث فقد يستطيع المحافظة على سلامة ماله مادام على حذر فان وقعت الغفلة كان التفريط بعض الشىء. أما إذا وقف منه موقف المتهم لما ثبت عنده من طبيعة الشريك ومكره، وعدائه له بسبب الجهل فيه وانه لا يعلم ما فيه مصلحته ومصلحة شريكه، ثم سن له من أنواع العقوبات والتعذير ما يقوم به اعوجاجه ويجعله أميناً مجداً فقد سلم العمل ونمت الثروة وحققت الأرباح وكانا معاً من الفائزين على هذا المنهج وهذه العقيدة سلك

السلف الصالح والكمل من الصوفية رضوان الله عليهم متمثلين قول الرسول صلى الله عليه وسلم ، « أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك » فما عملوا عملا صالحاً إلا وكانوا متهمين لأنفسهم فيه بل كانوا فيه على وجل قال تعالى (الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة) ولقد ثبت من ذلك الكثير عن أجلة الصحابة المبشرين من الصادق الأمين صلوات الله عليه . والصالحين من الصوفية فما يروى من ذلك . أى فى محاسبتهم لأنفسهم وإلزامها بما يعوض الخسارة الناتجة عن تقصيرها على سبيل الزجر والعقوبة تارة . وحرصاً منهم على سلامة العمل وزيادة التقوى والطاعة تارة أخرى أو هما معاً — ما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه فاتته صلاة العصر جماعة . فتصدق بأرض كانت له قيمتها مائتا ألف درهم . وما روى عن أبى طلحة رضى الله عنه أنه كان يصلى أمام بستانه فشغله طائر فيه عن الحضور فى الصلاة فلم يدر كم صلى .. فتصدق بالبستان تكفيراً لما فرطت فيه نفسه . وما روى عن ابن عمر رضى الله عنه أنه فاتته صلاة الجماعة فى فريضة أحيا تلك الليلة . وأخر مرة صلاة المغرب حتى طلع كوكبان فأعتق رقبتين . وفات ابن أبى ربيعة ركعتا الفجر فاعتق رقبة وكل ذلك لا شك استناداً على قول الله تعالى (إن الحسنات يذهبن السيئات) وقوله صلى الله عليه وسلم « اتق الله حيث ما كنت . واتبع السيئة الحسنة تمحها . وخالق الناس بخلق حسن » هذا فى الألزام للنفس بتعويض ما فرطت فيه من واجب أما اجتهاد النفس فى زيادة الخير والطاعة . فانظر أيها السيد الكريم وفقنى الله وإياك إلى ما فيه الرشد أنظر إلى قول أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه حيث يقول أحد أصحابه .

صليت خلف على رضى الله عنه صلاة الفجر . فلما سلم انفتل عن يمينه وعليه كآبة فمكث حتى طلعت الشمس ثم قلب يده وقال والله لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وما أرى اليوم شيئاً يشبههم . كانوا يصبحون شعثاً غبرا صفرا . فقد باتوا لله سجدا وقياماً يتلون كتاب الله يتراوحون بين أقدامهم وجباههم وكانوا إذا ذكروا الله حادوا كما يحيد الشجر فى يوم الريح وهملت أعينهم حتى تبل ثيابهم وكأن القوم قد باتو غافلين يعنى من كان حوله . ودخل قوم على عمر بن

عبد العزيز يعودونه فى مرضه وإذا فيهم شاب ناحل الجسم فقال عمر له يا فتى ، ما الذى بلغ بك ما أرى ؟ فقال يا أمير المؤمنين أسقام وأمراض فقال سألتك بالله ألا صدقتنى . فقال يا أمير المؤمنين . ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها مرة فصغر عندى زهرتها وحلاوتها واستوى عندى ذهبها وحجرها وكأنى أنظر إلى عرش ربى بارزا والناس يساقون إلى الجنة والنار فاظمأت لذلك نهارى وأسهرت ليلى وقليل حقير كل ما أنا فيه فى جنب ثواب الله وعقابه . ويقول الحسن رضى الله عنه أدركت أقواماً وصحبت طوائف منهم ما كانوا يفرحون بشىء من الدنيا أقبل ولا يتأسفون على شىء منها أدبر ولهى كانت أهون فى أعينهم من هذا التراب الذى تطؤنه بأرجلكم إذ كان أحدهم يعيش عمره كله ما يطوى له ثوب ولا يأمر أهله بصنعة طعام قط وأدركتهم عاملين بكتاب ربهم وسنة نبيهم . إذا جنهم الليل فقيام على أطرافهم يفترشون وجوههم . تجرى دموعهم على خدودهم يناجون ربهم فى فكاك رقابهم إذا عملوا الحسنة فرحوا بها ودأبوا على شكرها وسألوا الله أن يتقبلها . وإذا عملوا السيئة أحزنتهم وسألوا الله أن يغفرها لهم ووالله ما زالوا كذلك وعلى ذلك وما سلموا من الذنوب ولانجوا إلا بالمغفرة

يقول الجنيد رضى الله عنه ما رأيت أعبد من السرى أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رؤى مضطجعاً إلا فى علة الموت . وما ورد فى ذلك كثير وأجل من أن يحصى أو يحاط به وما نالوا ذلك الخير فى الحقيقة إلا بمحاسبتهم لأنفسهم وعدم الرضا عنها ورضى الله عن سيدتنا عائشة حيث أجابت حينما سئلت متى يكون الرجل مسيئاً ؟ فقالت إذا ظن أنه محسن هدانا الله إلى الخير وألهمنا الرشد والتوفيق سبحانه .

محمد عبد الشافعى

وكيل المشيخة

عن مركز شبرا خيت

نشرنا فى العدد الأسبق أن الشيخ عبد الجليل الزينى . هو وكيل المشيخة العامة عن مركز شبرا خيت . وصحة أن سيادته وكيلا عن مركز الدلنجات . وأما وكيل المشيخة عن مركز شبرا خيت . فهو الشيخ اسماعيل محمد خضر .

الإسلام والصحة

للأستاذ عبد المنصف محمود عبد الفتاح

واعظ مركز شبين القناطر

(٣)

مشروعية التداوى .

ولما كان بنو آدم عرضة للآلام والأمراض نجد الدين يأمرهم بالتداوى من كل مايعرض لهم من علل وأسقام روى الامام أحمد فى مسنده عن أسامة ابن شريك قال : « كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم وجاءت الأعراب فقالوا : يارسول الله أنتداوى ؟ فقال نعم ياعباد الله تداووا، فإن الله عزوجل لم يضع داء (أى مرضا) إلا وضع له شفاء (أى قدر له دواء) غير داء واحد . قالوا : ماهو ؟ قال : الهرم (أى كبر السن) وفى حديث الترمذى « تداووا ياعباد الله ؛ فإن الله تعالى لم يضع داء إلا وضع له شفاء إلا السام (يعنى الموت) وروى البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما أنزل الله داء (أى ما وضع الله مرضا فى جسم الا أنزل له شفاء) وعن ابن مسعود رضى الله عنه يرفعه: « إن الله عزوجل لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله » وروى مسلم فى صحيحه عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: « لكل داء دواء فإذا أصيب (أى وجد) دواء الداء (ثم تناوله المريض برىء باذن الله عز وجل » .

وفى قوله صلى الله عليه وسلم : « لكل داء دواء » تقوية لنفس كل من المريض والطبيب ، وترغيب فى طلب ذلك الدواء والبحث عنه رغبة فى الحصول عليه ؛ فإن المريض إذا أعتقد بأن لمرضه دواء يزيله . ويريحه من آلامه : برأ من حرارة اليأس ، وانفتح له باب الرجاء ، وتحسنت حالته المعنوية . . وكذلك الطبيب إذا علم أن لهذا الداء دواء : استطاع أن يبذل قصارى جهده فى سبيل طلبه حتى يتيسر له ويهتدى إليه

العلاج النفسى :

وأنا لنرى فى قول النبى صلى الله عليه وسلم : « إذا دخلتم على المريض فنفسوا له فى الأجل ، فإن ذلك لا يرد شيئاً وهو مطيب نفس المريض » علاجاً نفسياً هاما سار عليه الطب النفسى الآن ، فإنه يوصى بتقوية نفس المريض ، والعمل على تخليصه من غزو الأوهام المضرة : بالتفاؤل وفتح باب الأمل . . كتب طبيب أمريكى شهير يقول . مارست مهنة الطب تسعة وعشرين عاماً ، لم أصارح أثناءها مريضاً بأن حالته ميئوس منها ، فاذا كان ذلك يعنى أننى كاذب فأنا فخور بذلك ! ! لقد اعتدت أن أحول تفكير المريض دائماً نحو الشفاء ، وأوحى إليه مهما تكن حالته سيئة أنه فى أمان تام من خطر المرض ، وليس أيسر من استعادة صحته وعافيته كاملتين فى أقرب وقت ، وكثيراً ما كان يتهمنى بالجهل والاهمال أقارب المرضى ، لأنهم حسبوا أننى لم أتبين حقيقة المرض أو طبيعته ، ولكنى لم أعبأ بهذا الاتهام ؛ لاعتقادى أننى أديت بما تعمدته من الكذب واجباً مقدساً نحو المريض ، فقاومت فى نفسه عوامل القلق وبعثت فى نفسه الأمل بضع ساعات

موقف الاسلام والطب من التداوى بالخمر :

غير أنه لا يجوز التداوى بمحرم كالخمر وكل مسكر :

لحديث أبى الدرداء رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء ، فتداووا ولا تداووا بالمحرم » وعن أبى موسى الأشعرى قال : قلت يارسول الله أفتنا فى شرابين كنا نصنعهما باليمن . البتع وهو من العسل ينبذ حتى يشتد ، والمزر وهو من الذرة والشعير ينبذ حتى يشتد . قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعطى جوامع الكلم بخواتيمه فقال : « كل مسكر حرام » متفق عليه وعن ابن عمر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما أسكر كثيره فقليله حرام » رواه أحمد وابن ماجة والدار قطنى وفى رواية أخرى عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل مسكر حرام وما أسكر الفرق منه فملء الكف منه حرام » (الفرق بفتح الفاء والراء : مكيال يسع ستة عشر رطلا) . .

ولحديث وائلة بن حجر أن طارق

ابن سويد الجعفى سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الخمر فنهاه أو كره أن يصنعها!! فقال : وإنما أصنعها للدواء قال : إنه ليس بدواء ولكنه داء ، رواه مسلم وفى الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم سئل عن الخمر يجعل فى الدواء فقال : « إنها داء وليست بالدواء » رواه أبو داود والترمذى وقال عليه الصلاة والسلام فى معرض التحذير والتنفير منها : « من تداوى بالخمر فلا شفاه الله » وروى البخارى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم»

وقد ذهب أساطين الطب الحديث إلى ماذهب إليه بنو الاسلام..فقرروا أن الخمر قليلها وكثيرها لاتصلح أن تكون دواء لأى داء من أنواع المرض وأن الادمان على تعاطيها ينتج عنه الاصابة بشتى الأدواء : كالتليف الكبدى ، واستسقاء فى البطن ، وتصلب الشرايين ، وأمراض القلب والكلى والنزيف المخى ، وضعف أو فقدان المدارك الحسية والعقلية . . .

يقول الدكتور « كبلدج » من كان عنده أقل ريب أوظل من الشك فى أن الخمر سم فليعتبر بما يكون عند وصولها إلى المعدة ؛ فان الغشاء المخاطى يصير محتقناً ، ويخرج مقدارا من المخاط ليحمى نفسه ، وترى غدد المعدة وقواها الدافعة تسرع فى اخراج ماوصل إليها بأسرع مايكون ، أو ليس ذلك مزيلا لشك الشاكين وريب المرتابين ، فى أن الخمر من أنواع السموم ؟ ! وقال الأستاذ « كينج » الطبيب الألمانى . إن المشروبات الروحية ليست الا جيشاً من الأمراض المفصلة ، وينبوعاً يفيض بمختلف الجرائم .. ثم هى طاعون يتلف الذر قبل التخلق أو يقتل الجنين خلا الحمل أو الوضع ، ومن ولد من هؤلا حيا عاجله فى أذاه بمهده وإذا قدر أن يفلت من فتكه وهو فى المهد فانه سيعيش معرضاً للأمراض المعض أو العاهات الملازمة أما تأثيرها أبدان شاربيها ونفوسهم ، فانها تنه قواهم ، وتضاعف عللهم ، وتق عللهم ، وتميت ارادتهم ، وتضعف فيهم الشعور بالتبعات العامة والخا ثم هى تظاهر الأمراض الخبيثة كالزه والسل على المصابين بها ، فاما تعجل بآجالهم ، أو تعوق عنهم شفا وقال الدكتور « ملر » الاسكوتلا ان الخمر لاتشفى شيئاً وقال الدك

« هيجينو توم » لاأعلم مرضاً قط شفى بالخمر .

وإذا كان هناك من الأدوية الخاصة الطاهرة ، والمستحضرات الطبية الحديثة مايشفى من الأمراض على اختلاف أنواعها ، إذا أصابت الأدواء مواطن الداء اللهم إلا فى بعض الحالات . كالشيخوخة والسام ، أفلا يكون من التهاون ورقة الدين وضعف اليقين اللجوء إلى التداوى بالمحرمات كالخمور والمسكرات ! !

وإنى لفى عجب من بعض الأقوام الذين يزعمون أن ترك التداوى من التوكل ومن الرضا بالقضاء والقدر وكثيراً مانسمع منهم ولا سيما العوام حينما يصاب أحدهم بمرض فيستكين أمامه ويخنع له ، وإذا أمره أحد العقلاء بعرض نفسه على أحد الأطباء ردد فى بلاهة هذه العبارة المشهورة « الطبيب ربنا » « المداوى هو الله » وكأنه قد فاتهم أن ربط الأسباب بمسبباتها لاينافى التوكل على الله كيف وقد احتجم النبى صلى الله عليه وسلم فى رأسه ، كما ثبت أيضا . أنه بعث إلى أبى بن كعب طبيباً فقطع منه عرقاً ثم كواه عليه » . ودخل على مريض يعوده فقال . « أرسلوا إلى الطبيب فقال له قائل . وأنت تقول ذلك يارسول الله ؟ قال . نعم » وعن زيد ابن اسلم أن رجلا أصابه جرح فاحتقن الدم وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا له برجلين من بنى أنمار . . فقال . أيكما أطب ؟ فقال رجل . أوفى الطب خير ؟ قال . الذى أنزل الداء أنزل الدواء » وفى المسند والسنن عن أبى خزامة رضى الله عنه قال . قلت يارسول الله أرأيت رقى فسترقيها ودواء نتداوى به ، وتقاة نتقيها . هل ترد من قدر الله شيئاً ؟ فقال هى من قدر الله وورد فى بعض الآثار أن ابراهيم الخليل عليه السلام سأل ربه مرة فقال « يارب الداء ممن ؟ قال . منى يا ابراهيم قال يارب والشفاء ممن قال منى . يا ابراهيم . . قال يارب إذا كان الداء منك والدواء منك والشفاء منك . فما بال الطبيب ؟ قال يا ابراهيم انما الطبيب رسول أرسل الشفاء على يديه » وفى رواية أخرى « الطبيب رجل أرسل الدواء على يديه » وأثر أيضا عن نبى الله موسى عليه السلام أنه قال . يارب ممن الداء والدواء ؟ فقال تعالى منى قال فما يصنع الأطباء ؟ قال يأكلون أرزاقهم ويطيبون نفوس عبادى حتى يأتى شفائى أو قضائى »

قال الشاعر الحكيم :

إن الطبيب له علم يدل به
مادام فى أجل الإنسان تأخير
حتى إذا ما انقضت أيام مهلته
حار الطبيب وخانته العقاقير

وإن من أهم مايجب على المريض مراعاته : أن ينتصح بنصح الطبيب ، ويعمل بإرشاداته ، ويلتزم مشورته ، قال شيخ الأطباء أبقراط اليونانى لأحد المرضى ممن كان يعالجهم : « أنا والعلة وأنت ثلاثة ، فان اعنتنى عليها بالقبول منى لما تسمع صرنا اثنين وانفردت العلة ، فقوينا عليها .. والاثنان إذا اجتمعا على واحد غلباه

بهذا يتبين لنا بوضوح أن التداوى من الأمراض والأوجاع مندوب إليه ومرغوب فيه .

من جواهر

الإمام الغزالى

الورع

... ليس الورع فى الجبهة حتى تقطب ، ولا فى الخد حتى تصعر ، ولا فى الظهر حتى ينحنى ولا فى الرقبة حتى تطأطىء ، ولا فى الذيل حتى يضم ، إنما الورع فى القلوب .. أما من تلقاه ببشر . فيلقاك بعبوس ، يمن عليك بعلمه . فلا أكثر الله فى المسلمين من أمثاله .

من أسرار النفس .؟

... إذا رأيت إنساناً سيىء الظن بالناس ، طالبا للعيوب فأعلم أنه خبيث فى الباطن ، والمؤمن سليم الصدر ، فى حق كافة الخلق ...

الرضا ...

... إنى رأيت الناس يذم بعضهم بعضا ، ويغتاب بعضهم بعضا ، فوجدت ذلك من الحسد فى المال والجاه والعلم ، فتأملت قوله تعالى : « نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا » فقلت إن القسمة كانت من الله تعالى فى الأزل ، فما حسدت أحدا ورضيت بقسمة الله .

العلماء ...

... إذا رأيت العلماء يتغايرون ويتحاسدون ، ولا يستأنسون . فاعلم أنهم اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فهم خاسرون .

صحبة الصوفية

نور على نور

للأستاذ محمد على الطعمي — واعظ نجع حمادى

أوحى الله إلى موسى بن عمران عليه السلام « كن يقظانا وارتد لنفسك إخوانا وكل أخ لا يوافقك على مسرتى فهو عدو يقسى قلبك ويباعدك منى .

قال الشيخ أبو عبد الله بن عباد رضى الله عنه ، معنى هذا أن صحبة الصوفية هى التى يحصل بها كمال الانتفاع للصاحب دون من عداهم لأنهم خصوا من حقائق التوحيد والمعرفة بخصائص لم يساهمهم فيها أحد .

ونقول :

كل إنسان فى الحياة له أصحاب ينجذب إليهم ويعيش بينهم ويتبع مناهجهم الذى خططوه لأنفسهم ، وكل انسان له صفوة مختارة يجتمع بهم ويسمر إليهم ويتناول معهم أطراف الحديث ، ثم يسير فى دربهم وتنعكس عليه طباعهم إن خيرا فخير وإن شرا فشر ، وخير الأصحاب هم الذين تتبلور فيهم معانى الخير ومقاييس الهدى ويحاولون ما استطاعوا أن يصلوا ما أمر الله به أن يوصل .

وهذه القيم السامية تتبوأ مكانتها اللائقة عند الصوفية وتجد مرتعا خصبا فى أفقهم المعروف بصفاء الروح والتغلب على شهوات النفس ، وللقوم موسعات حية أفاضت فى حسن المعشر وأدب الصحبة والوفاء فى البأساء والضراء . وهذا يوضح لنا مبلغ ما كان عليه هؤلاء الأبطال من أمجاد وأسرار وكيف أنهم أسسوا أعمالهم ووضعوا علومهم على مبادىء جديرة بالإعجاب والإجلال ؟

يقول الجنيد رضى الله عنه « إذا أراد الله بالمريد خيرا أوقعه إلى الصوفية ، ذلك لأن دعواهم أبدا توصى بالتزام الأدب مع الخالق والتفرغ لعبادته والتلذذ بمشاهدته ،

وهم فى كل حين دوحة وارفة ترفرف بأغصانها فى ملكوت رب العالمين .

وليس كل من هب ودب يدخل فى حساب السادة الصوفية ويصير واحدا من مجموعتهم ... كلا فهؤلاء الأخيار لايدخل فى حسابهم ولا يترنح بدوكائهم إلا من تخلصت نفسه من أوضار الرياء وشوائب النفاق ... وأصبح الأدب فى حياته سلوكا وديدنا والأدب يكون أولا مع الله بحيث يواظب المريد على الطاعة ويجتنب المعصية « اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » وفى الحديث القدسى يقول الله تعالى « ياعبادى إن كنتم تعتقدون أنى لا أراكم فالخلل فى إيمانكم ، وإن كنتم تعتقدون أنى أراكم فلم جعلتمونى أهون الناظرين إليكم »

إذاً صحبة الصوفية تنوير باطنى يحس به من مارس حياة هؤلاء الناس وتذوق دنانهم الممزوجة بحلاوة الايمان العامرة بجلال اليقين ، ثم إن فيها تهذيباً للأخلاق وتقريبا للخلاق وصفاء روحانياً مريحا يوصى بالرضا والقبول فى كل مرافق الحياة .

وأى إنسان يمشى فى ركاب هؤلاء القوم لابد أن ينجذب إليهم بسرعة فائقة ولابد أن تشمله عناية ربانية عارمة ، ولابد أن تصفو نفسه وتتخلص من هواها بحيث يصبح قرير العين جزلان .

كثير من الأشقياء أفسدوا وأجرموا ثم بالغوا فى الافساد والجريمة ، وقد حاولت كل القوى أن تصدهم عما هم فيه فأبوا وازدادوا إفسادا ولما اقترب منهم رجال الصوفية وخالطوهم وصاحبوهم استطاعوا أن ينقذوهم دفعة واحدة من ورطة الجريمة ويصنعوا منهم رجالا يذكرون الله بكرة وعشيا .

وكثير من الخصومات العائلية الكبرى فشلت الوساطات والشفاعات فى إزالتها ، وبفضل رجال الصوفية أيضا أزيلت العداوات ورفرف على الأسر الوئام والسلام .

ومهما يكن من شىء فالغفلة عن صحبة هؤلاء القوم رعونة وتحديهم جهل والقربى إليهم نور يهدى به الله من يشاء من عباده ، قال ابن عجيبة « وهذه المعانى إنما هى أذواق لاتدرك بالعقل ولا بنقل الأوراق ، وإنما تدرك بصحبة أهل الأذواق فلم ولا تنتقد »

إن لم تر الهلال فسلم
لاناس رأوه بالأبصار

وعلى المريد أن يستفيد من صحبة

القوم وأن ينشد مجالسهم وأذكارهم ويأخذ منها المفاهيم التى تؤهله للفتوح وكلما تذوق المريد حلاوة الصحبة أدرك ماتهدف إليه من توجيهات وإرشادات ، وأدرك أن الفتوح لايكتسب بالجد والمثابرة والعبادة فحسب بل ومن مجالسة السادة الصوفية وملازمة عظاتهم واستماع نصائحهم .

قال الشيخ أبو حامد الغزالى رضى الله عنه « ولقد أردت فى بداية أمرى سلوك هذا الطريق بكثرة الأوراد والصوم والصلاة . فلما علم الله حسن نيتى قيض لى ولياً من أوليائه ، قال يابنى : اقطع من قلبك كل علاقة إلا الله وحده وأخل نفسك وأجمع همتك وقل « الله الله الله » ولاتزد على ما فرض الله عليك شيئاً إلا الرواتب »

فالمريد السعيد الموفق هو الذى يشتغل بالله وحده بغض النظر عن أى اعتبار آخر ، ومادام الله راضياً عنه فإنه ينهل فى سعادة أبدية ويستغنى به عن كل شىء وكل شىء ماخلا الله باطل.

تركت هوى سعدى وليلى بمعزل
وصرت إلى علياء أول منزل
فنادتنى الأكوان من كل جانب
ألا أيها الساعى رويدك فامهل
غزلت لهم غزلا رقيقاً فلم أجد
لغزلى نساجا فكسرت مغزلى

وبعد :

فالإخلاص لمدرسة الصوفية من علامات القبول ، والتفانى فى صحبتهم اشراقة تضىء على جنبات النفس فتذيب المعصية وتبخر الذنب، والتأدب فى مجالسهم بداية الكمال ، والتعرف عليهم نور على نور وإلى اللقاء .

من أسرار المعرفة ..

قال العلامة الصوفى أبو سعيد الخراز :

« إذا أراد الله أن يتولى عبدا من عبيده فتح عليه باب ذكره فإذا استلذ الذكر فتح عليه باب القرب ، ثم رفعه إلى مجالس الأنس ، ثم أجلسه على كرسى التوحيد ، ثم رفع عنه الحجاب وأدخله دار الفردانية وكشف له حجاب الجلال والعظمة . فإذا وقع بصره على الجلال والعظمة بقى بلا هو ؟ فحينئذ صار العبد فانيا فوقع فى حفظه سبحانه وتعالى وبرىء من دواعى نفسه »

رجال الصوفية

للأستاذ عبد العزيز سعد فرج
واعظ مركز منفلوط

١ — ابن عطاء الله السكندرى :

هو تاج الدين أبو الفضل أحمد ابن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندرى الصوفى الشاذلى . أجمع المؤرخون على أنه كان مالكى المذهب عدا الشيخ تقى الدين السبكى الذى قال : أراه كان شافعى المذهب وقل كان مالكياً . .

رحل - رحمه الله - من الاسكندرية إلى القاهرة طلباً فى العلم وحباً فيه فنبغ فى علوم التفسير والحديث والنحو والفقه ، وظل زماناً بعيداً عن التصوف إلى أن اتصل بالشيخ أبى العباس المرسى الذى آلت إليه شياخة الطريقة الشاذلية .

ويصل تاريخ ابن عطاء الله اتصالا وثيقاً بتاريخ أستاذه أبى العباس وتاريخ مؤسس الطريقة التى ينتميان إليها — أعنى أبا الحسن الشاذلى — فإن ابن عطاء الله كان الوارث الحقيقى للشيخ أبى العباس المرسى الظاهر بعلمه وحاله المظهر لطريقته الناشر لتعاليمه . كما كان أبو العباس الوارث الحقيقى للشيخ أبى الحسن الشاذلى الظاهر بعلمه وحاله المظهر لطريقته المفسر والمجمل والمبسط لتعاليمه . يقول الشاذلى فى أبى العباس : « يا أبا العباس . يا أبا العباس ما صحبتك إلا لتكون أنت أنا ، وأنا أنت » . . وقد تحققت هذه الوحدة الروحية بين الشيخ ومريده فى حال صحبة الشاذلى وأبى العباس كما تحققت فى حال صحبة أبى العباس وابن عطاء الله وظهرت فى الحالتين الوراثة الروحية الكاملة .

ويتصل تاريخ الحياة الروحية لابن عطاء الله وشيخيه بتاريخ التصوف بوجه عام فى القرنين السادس والسابع الهجريين ، وهما القرنان اللذان أعقبا موت الإمام الغزالى رضى الله عنه وطبع فيه التصوف بطابع خاص

ظهر أثره فى طائفة الشاذلية كما ظهر فى تعاليم غيرها من طوائف الصوفية الأخرى فقد أوسع الإمام الغزالى مجال التصوف وجعل منه أساساً روحياً للدين الإسلامى الحنيف فأصبح من بعده القوة المحركة للمسلمين والنهج القويم الذى ينهجونه فى سلوكهم وعباداتهم . ومنذ عهد الغزالى اعترف أهل السنة بالتصوف ، وكذلك أصبحت تعاليم الصوفية فى تهذيب النفس وآداب الطريق الأساس الذى بنى عليه المسلمون مذهبهم الخلقى ، واتخذ الصوفية كتاب الله وسنة رسوله الأساس ، واتبعوا نفس المنهج الذى نهجه الغزالى فخلعوا على الإسلام خلعة صوفية ، وكان من آثار هذا أن ظهرت الصوفية المنظمة التى انخرط فى اتباعها الكثير يسترشدون بنورها ويهتدون بهديها ويسيرون على منوالها .

ظهرت فى العراق الطريقة القادرية — طريقة عبد القادر الجيلانى المتوفى سنة ٥٦١ هـ رضى الله عنه — والرفاعية — طريقة أحمد الرفاعى المتوفى سنة ٧٥٦ هـ رضى الله عنه — وظهرت فى مصر الطريقة البدوية — طريقة السيد أحمد البدوى المتوفى سنة ٦٧٥ هـ رضى الله عنه — وفى تونس ثم فى مصر طريقة أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه المتوفى سنة ٦٥٦ هـ — وفى تركيا طريقة المولدية لجلال الدين الرومى المتوفى سنة ٦٧٣ هـ وغيرها .

لم يكن ظهور هذه الطرق فى هذين القرنين السادس والسابع من طريق الصدفة إنما كانت هذه الطرق تطبع التصوف بطابع السنة والسير على نهجها والتأدب بآداب الشرع والأخلاق والصفات الدينية الحميدة ، ولا عجب أن يجذب التصوف الآلاف من المريدين المتعطشين للروحية الخصبة التى تتفق وروح الإسلام ومبادئه الخالصة السمحة بل تستند إلى أصوله وتعاليمه .

ولا عجب أن تظهر الطرق الصوفية وعلى رأسها أمثال عبد القادر الجيلانى وأبو الحسن الشاذلى وأبو العباس المرسى ممن اقتفوا آثار الغزالى وجعلوا همهم الوعظ والإرشاد واستخلاص المعانى السمحة السهلة من نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة الحميدة .

والذى يهمنا من كبار رجال الصوفية هو الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه لأنه صاحب الطريقة التى ينتمى إليها الشيخ ابن عطاء الله السكندرى بوساطة الشيخ أبى العباس المرسى رضى الله عنه . والحقيقة أن

العـــالم الأسلامى لم يشهد طبقة من المرشدين العاملين والمخلصين القانتين ومن نفوذ أثرهم فى النفوس ووصول محبتهم للقلوب أمثـــال الشاذلى وأبى العباس وابن عطاء الله رضى الله عنهم . ولقد كان أبو العباس من أخص أصحاب أبى الحسين الشاذلى وأقربهم إليه وأحفظهم لعهـــده ، وكذلك كان ابن عطا الله السكندرى بالنسبه لشيخه أبى العباس .

ولقد أفاد ابن عطاء الله بالتأليف فى التصوف وله مؤلفـــات قيمة فى تاريخ التصوف وتاريخ الطريقـــه الشاذلية وحكمه ومؤلفاته لها القدح المعلى فى الآداب الاسلامية الرشيدة التى لو سار الناس على نهجها وعملوا بما فيها لسعدوا فى دينهم ودنياهم لأنها من معين السنة الصافيه ومن قبس النور المحمدى الكريم . توفى رضى الله عنه وأجزل مثوبته بالمدرسة المنصورية بالقاهرة فى جمادى الآخرة سنة ٧٠٩ هـ ودفن بالقرافة بجبـــانة سيدى على أبى الوفاء شرقى جبانة الأمام الليث رضى الله عنه .

من الأدب الصوفى

طبقـــات النـــاس

قال الامام أبو نصر السراج الطوسى :

« الناس فى الأدب على ثلاث طبقات ، أما أهل الدنيا فاكثر آدابهم فى الفصاحة والبـلاغة وحفظ العلوم وأسماء الملوك واشعـار العرب . وأما أهل الدين فاكثر آدابهم فى رياضة النفس وتأديب الجوارح وحفظ الحدود وترك الشهوات .

وأما أهل الخصوصية فاكثر آدابهم فى طهارة القلوب ، ومراعاة الأسرار والوفاء بالعهد ، وحفظ الوقت ، وحسن الأدب فى مواقف الطلب ، وأوقات الحضور ، ومقامات القرب »

حاجتنا إلى الوعى الصوفى

للأستاذ محمد رشاد عطيه

أمتنا العربية التى حملت مشعل الحضارة ، وأنارت به طريق الأنسانية لعدة قرون ، وبددت به ظلام العصور الوسطى فى أوربا حتى أشرق عصر النهضة ، وقامت الحضارة الأوربية التى بدأت الآن تقود الإنسانيه إلى حرب ذرية بشعة ، مغلفة العالم بظلام حالك وضباب كثيف ؛ إنبثق منها نور الأمل متجسدا فى زعيمنا جمال الذى قرع الأجراس ، وأيقظنا من سباتنا العميق ، وفى حكمة سقراط وجه الأنظار إلى الإنسان ، وبفضله أضحت القومية العربية التى عمل على تجليتها وتقويتها حقيقة ملموسة من حقائق القرن العشرين ، وأصبحنا نتأهب الآن لقيادة البشريه من جديد .

ولهذا يجب أن نأخذ العبرة ممن سبقونا ، ونعمل أولا على تدعيم أسس الحضارة فى النفوس ، حتى تكون راسخة لا تتزعزع بالتيارات المضاده ، وهذا لن يأتى إلا بمساعدة أفراد أمتنا على الفهم الواعى المستنير للمبادىء الروحية فى الإسلام التى تتمثل بلا شك فى تراثنا الصوفى الإسلامى قلباً وقالباً .

وهذه المهمة شاقة وصعبة، وتحتاج لجهود مضنية ، ويقظة سريعة وتكتيل إيجابى ، فوسائل نشر تلك المبادىء إلى الآن قاصرة على صفوة الطبقة المثقفة ، بعيدة عن الجماهير ، وإحصائيات التوزيع للمجلات الدينية تدلنا على هذه الحقيقة ، ومنبر المسجد الذى هو الوسيلة إلى هذا والذى يجب أن يكون رائداً فى هذا المضمار تحول على أيدى معظم أئمة المساجد إلى وظيفة روتينية ليس فيه نبضات الإسلام القوية المتجددة .

وإننا حينما ندعو إلى نشر الوعى الصوفى ، لا نطالب بالعزلة والسلبية ، والتواكل ، ونبذ الحياة ، كما يتبادر إلى أذهان الكثيرين ، ولكننا ندعو إلى إيصال ثمرة التجارب الصوفية الأصيلة من مثل أخلاقية قويمة وحياة حرة نظيفة كريمة إلى النفوس حتى

تكون مصباحاً ينيرها .

إننا نريد أن يكون قول سهل بن عبد الله التسترى .

الله معى — الله ناظر إلى — الله شاهد على — فى قلب ونصب عين كل مسئول كبيراً كان أو صغيراً فى الدولة حتى يقوم بمهماته على أكمل وجه ، وتختفى المحسوبية والرشـــوة واستغلال النفوذ التى مازلنا نعانى منها إلى الآن . . . وفى نفس كل تاجر حتى لايغش ويمتنع عن الكسب الحرام الفاحش . . . وأمام كل فرد حتى يعمل ونفسه صافية نقية من الأنانية والحقد متحررة من القيود وأسر الشهوات التى تقوده إلى الزلل الدائم .

ونحن لا ندعو بهذا أن يتحول كل أفراد الأمة إلى متصوفه على غرار الجنيد والبسطامى والشبلى ، فهذا بداهة مستحيل إستحالة تحول كل الناس إلى أدباء أو فلاسفة أو فنانين أو علماء ، بل نحببهم فقط إلى تذوق التصوف ، .

فهناك فقط فئة قليلة هى التى تصل بعد سفر طويل فى طريق المقامات والأحوال إلى درجة المتصوف ، وهى تحترق كالشموع لتنير الطريق للآخرين

والتصوف الذى ندعو إليه ونريد نشره ليس فى الإشارات والرسوم والتقاليد ، ولـــكنه شعلة متقدة فى القلب والروح ، وقد عبر عن هذا الجنيد البغدادى فى قوله .

إن تصفية القلوب حتى لايعاودها ضعفها الذاتى ومفارقة أخلاق الطبيعه وإخماد صفات البشرية ، ومجانبة نزوات النفس ومنازلة الصفـــات الروحية ، والتعلق بعلوم الحقيقة وأتباع النبى صلى الله عليه وســـلم فى الشريعة .

وعلى تلك الدعائم وبهذا المعنى نحن محتاجون إلى بث المبادىء الروحية الإسلامية فى النفوس ، فهى لا زمة لنا لزوم التنفس لبلوغ أهدافنا القومية الإنسانية .

وليس أدل على أهمية الوعى الصوفى من قول أكبر عقلية علمية ظهرت فى القرن العشرين العلامة الراحل البرت أنشتين :

« إن الإنسان الذى لم يختبر وقفة من وقفات الصوفية حيال ذلك العالم ولم يشعر نحوه بالروعة ، هو حى حكمه حكم الميت .

محمد رشاد عطيه

فتاوى وأحكام

س : (١) هل يجوز نقل الزكاة إلى خارج البلدة لفقير قريب أو فقير ليس بقريب ولكنه فى حاجة شديدة إليها ؟ أرجو التكرم بالإفادة على صفحات مجلة : « الإسلام والتصوف » الغراء .

محمد أمين مصطفى سليمان
مساعد بلوك محطة القناطر الخيرية

الجواب : (١) أجمع الفقهاء على جواز نقل الزكاة إلى من يستحقها من بلد إلى بلد آخر ، إذا استغنى أهل بلد المزكى عنها . . أما إذا لم يستغن قوم المزكى عنها ، فلا تنقل إلى بلد آخر ؛ لأن المقصود من الزكاة إغناء الفقراء من كل بلد ، فإذا أبيح نقلها من بلد مع وجود فقراء بها ، أفضى إلى بقاء فقراء فى ذلك البلد محتاجين . وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم لمعاذ ابن جبل : « أخبرهم أن عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد إلى فقرائهم » وأختلفو فى نقلها من بلدة إلى أخرى عند عدم استغناء فقراء بلدة المزكى عنها .

فقال الأحناف : يكره نقلها إلا أن ينقلها إلى قرابة محتاجين ؛ لما فى ذلك من صلة الرحم ، أو جماعة هم أمس حاجة إليها من أهل بلدته ، أو كان نقلها أصلح للمسلمين ، أو إلى طالب علم لأجل أن يستعين بها على مواصلة التعليم ، أو من دار الحرب إلى دار الإسلام ، أو كانت الزكاة معجلة قبل تمام الحول . . فإنه فى هذه الصور جميعها لا يكره نقلها .

وقال الشافعية : لا يجوز نقل الزكاة ، ويجب صرفها فى البلد الذى يوجد فيه مال المزكى ، اللهم إلا إذا فقد من يستحق الزكاة فى الموضع الذى وجبت فيه . وحينئذ يباح نقلها إلى مستحق لها فى مكان آخر .

وقال المالكية : لا يجوز نقل الزكاة إلا أن يقع بأهل بلد حاجة كمجاعة أو غرق أو حرق ، فينقلها

الحساكم إليهم (على سبيل النظر والاجتهاد) .

وقال الحنابلة : لايجوز نقل الزكاة من بلدها إلى مسافة القصر ، ويجب صرفها فى موضع الوجوب أو قربه إلى ما دون مسافة القصر والله أعلم .

س : (٢) ا ـ توفى رجل عن : زوجة ، ولدين ، بنت .

ب ـ ثم توفى أحد الولدين عن : زوجه ، أم ، أخ ، أخت (شقيقين)

جـ ـ ثم توفيت الأم عن : أبن، بنت

د ـ ثم توفى الولد الآخر عن: زوجة بنت، أخت شقيقة . فما نصيب كل منهما ؟

عبد العظيم موسى دوبى
أبو سيدهم ـــ سمالوط

الجواب (٢) ا ـ للزوجة : $\frac{1}{8}$ والباقى : للولدين والبنت بطريق التعصيب ، للذكر مثل حظ الانثيين .

ب ـ للزوجة : $\frac{1}{4}$ وللأم: $\frac{1}{4}$ والباقى للأخ والأخت بطريق التعصيب .

حـ ـ جميع التركة للأبن والبنت بطريق التعصيب .

د ـ للزوجة $\frac{1}{8}$ وللبنت $\frac{1}{2}$ والباقى : للأخت الشقيقة ؛ لأنها عصبة للبنت والله أعلم .

س (٣) ما حكم إلقاء السلام على كل من النساء والصبيان ؟

س (٤) ما حكم قتل الكلاب وعلى الأخص غير الضار منها ؟

(رقيب) محمد محمد على الجندى
بمصلحة السواحل وحرس الجمارك والمصايد

الجواب (٣) لا بأس بإلقاء السلام على العجائز من النساء وعلى ذوات المحارم دون غيرهن فقد روى الترمذى عن النبى صلى الله عليه وسلم: « أنه مر يوما بجماعة نسوة فأومى بيده بالتسليم » وروى أبو داود عن أسماء بنت يزيد الأنصارية قالت : « مر علينا النبى صلى الله عليه وسلم فى نسوة فسلم علينا » وفى صحيح البخارى : « أن الصحابة كانوا ينصرفون من الجمعة فيمرون على عجوز فى طريقهم فيسلمون عليها ، فتقدم لهم طعاما من أصول السلق والشعير » كما يندب للإنسان أن يسلم على أهل بيته لما رواه الترمذى عن أنس رضى الله عنه قال : « قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بنى إذا دخلت على أهلك فسلم يكن بركة عليك وعلى أهل بيتك »

ويسن السلام على الصبيان لما رواه

مسلم فى صحيحه : « أن النبى صلى الله عليه وسلم مر بصبيان فسلم عليهم » وبهذا علم الجواب والله أعلم ،

الجواب (٤) يجوز قتل الكلاب الضارة كالكلب المصاب بداء الكلب والكلب العقور . روى مسلم فى صحيحه عن عبد الله بن مغفل رضى الله عنه قال : « أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الكلاب ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : ما بالهم وبال الكلاب ، ثم رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كلب الصيد وكلب الغنم » .

واختلف العلماء فى قتل مالاضرر فيه منها: فقال القاضى حسين وإمام الحرمين والماوردى فى باب بيع الكلاب والنووى فى شرحى المهذب ومسلم : لا يجوز قتلها . وقال فى باب محرمات الإحرام : إنه الأصح وأن الأمر بقتلها منسوخ . وقال الرافعى: يكره قتلها . لكن قال الإمام الشافعى فى الأم فى باب الخلاف فى ثمن الكلب : واقتلوا الكلاب التى لا نفع فيها حيث وجدتموها . والله أعلم . .

عبد المنصف محمود عبد الفتاح
واعظ مركز شبين القناطر

ندوة المجلة الشهرية

اعتادت مجلة الاسلام والتصوف أن تقدم لقرائها ، فى كل عدد من أعدادها ما يدور فى ندوتها الشهرية من دراسة ومناقشة فى شتى نواحى العلم والمعرفة .

وقد ضاق نطاق هذا العدد عن نشر الندوة الشهرية . وسنوالى إن شاء الله نشر ندواتنا الشهرية ابتداء من العدد القادم وسيكون موضوع الندوة القادمة دراسة كاملة لموضوع :

« تحضير الأرواح . وموقف العلم والدين والتصوف منه »

عمرو بن عبيد والخليفة المنصور

قال اسحاق بن المفضل الهاشمى : إنى لعلى باب الخليفة المنصور يوما ، وإلى جانبى عمارة بن حمزة ، إذ طلع عمرو بن عبيد على حمار ، فنزل عن حماره ثم دفع البساط برجله ، وجلس دونه ، فالتفت إلى عمارة وقال: لاتزال بصرتكم ترمينا منها بأحق ، فما أتم كلامه حتى خرج الربيع الحاجب وهو يقول : أبو عثمان عمرو بن عبيد قال : فوالله ما دل على نفسه حتى أرشد إليه ، فاتكأ يده ثم قال له :

أجب أمير المؤمنين جعلت فداك فمر متوكأ عليه ، فالتفت إلى عمارة .

فقلت له : إن الرجل الذى استحمقته قد أدخل وتركنا .

فقال : كثيراً ما يكون ذلك .

فأطال اللبث ثم خرج الربيع وهو متوكىء عليه. والربيع يقول: ياغلام حمار أبى عثمان ، فما برح حتى أتى بالحمار ، فأقره على سرجه ، وضم إليه نشر ثوبه واستودعه الله .

فأقبل عمارة على الربيع فقال : لقد فعلتم اليوم بهذا الرجل ما لو فعلتموه بولى عهدكم لقضيتم حقه !

قال : فما غاب عنك مما فعل به أكثر وأعجب ! قال عمارة : فإن اتسع لك الحديث فحدثنا .

فقال الربيع : ما هو إلا أن سمع الخليفة بمكانه فما أمهل حتى أمر بمجلس ففرش لبودا ، ثم انتقل إليه ومعه المهدى ولى عهده ، ثم أذن له ، فلما دخل عليه سلم بالخلافة فرد عليه ، وما زال يدنيه حتى اتكأ فخذه وتحفى به ثم سأله عن نفسه وعن عياله يسميهم رجلا رجلا وامرأة امرأة ، ثم قال : يا أبا عثمان عظنا ، فقال : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم : والفجر وليال عشر ، والشفع والوتر والليل إذا يسر : ومر فيها إلى آخرها وقال : إن ربك يا أبا جعفر لبالمرصاد قال : فبكى المنصور بكاء شديداً كأنه لم يسمع تلك الآيات إلا تلك الساعة ثم قال . زدنى . فقال : إن الله أعطاك الدنيا بأسرها ، فاشتر نفسك منها

بعضها ، وأعلم أن هـذا الأمر الذى صار إليك إنما كان فى يد من قبلك ثم أفضى إليك . وكذلك يخرج منك إلى من هو بعدك ، وإنى أحـذرك ليلة تمخض صبيحتها عن يوم القيامة !!

قال : فبكى أشد من بكائه الأول وكان فى المجلس سليمان بن مجاهد فقال: رفقاً بأمير المؤمنين فقد أتعبته ؟

فقـال له عمرو بن عبيد : بمثلك ضاع الأمر ، وانتشر الفساد ، لا أبالك وماذا على أمير المؤمنين ان بـكى من خشية الله : ثم التفت إلى أمير المؤمنين وقال :

إن هؤلاء اتخذوك سلماً لشهواتهم ، فاتق الله فانك ميت وحدك ، ومحاسب وحدك ، ومبعوث وحـدك ، ولن يغنى عنك هؤلاء من ربك شيئاً .

فقال له المنصور : أعنى بأصحابك أستغن عنهم ، فقـال له : اظهر الحق يتبعك أهله .

فقال له : قـد أمرت لك بعشرة آلاف درهم تستعين بها على زمانك ..

فقال : لا حاجة لى فيها . فقـال المنصور والله لتأخذنها . فقال عمرو : والله لا آخذنها . فقال له المهدى يحلف أمير المؤمنين وتحلف ، ؟ فأقبل عمرو على المنصور وقال : من هـذا الفتى ؟ فقال : هذا ابنى محمد ، وهو المهدى ولى العهد . فقال: والله لقد سميته إسماً ما استحقة بعمل ، ولم تعلمه الأدب .

ثم قال المنصور : يا أبا عثمان . هل من حاجة ؟ قال : نعم . يرفع هـذا الطيلسان عنى — وكان المنصور طرح عليه طيلسانا حين دخل عليه .

ثم قال له المنصور : لا تدع زيارتنا يا أبا عثمان . فقال : نعم ولكن لا تعطينى حتى أسألك . ولا تدعنى حتى آتيك .

فقال المنصور : إذن لا تأتينا أبداً ولا تطلب شيئا . ثم ودع المنصور ونهض . فلما ولى أتبعه بصره وقال :

كلكم طالب صيد
كلكم يمشى رويـد
غير عمرو بن عبيد

زيوت التعاون دائما في المقدمة للخدمة الشاقة

الجمعية التعاونية للبترول

الهيئة الزراعية المصرية

تأسست سنة ١٨٩٨

تمد الزراع بما يأتى :

١ — التقاوى المنتقاة .

٢ — الاسمدة الجيدة .

٣ — أحدث أنواع المبيدات الحشرية وأدوات الرى والتعفير .

٤ — سلالات ممتازة من الخيول العربية والمواشى والدواجن .

٥ — ترشد الزراع إلى أحسن الطرق لإصلاح أراضيهم وتتولى القيام بمقاومة آفاتها .

٦ — ترشد الزارع إلى أحدث أساليب الزراعة للحصول على أوفر غلة لأرضه .

مخازن وكلائها منتشرة فى أنحاء الأقليم الجنوبى وقطاع غزة

الادارة العامة بأرض المعارض بالجزيرة بمصر ص.ب ٦٣

فهرس العـــدد

الصفحة	الموضـــوع	الـكاتب
٣	من وحي الهجرة	لسماحة السيد محمد محمود علوان
٦	شهيد التصوف الأسلامى : الحلاج	للأستاذ طه عبد الباقى سرور
١٤	صفحات ونفحات	للدكتور محمد مصطفى حلمي
١٩	علم النفس والإسلام	للدكتور محمد مظهر سعيد
٢٣	الوجودية عى فلسفة الشيطـان	للدكتور عبد الحليم محمود
٢٦	لبيك اللهم لبيك	للأستاذ حسنى طه شيكبان
٣١	كيف صاغ الإسلام شخصية الإنسان	للأستاذ محمود محمد عماره
٣٥	مؤلفات اسلامية أثرت فى الفـكر العالمي	للأستاذ عباس محمود العقاد
٤٠	بين أحمد بن حنبل والحارث المحاسبى	للأستاذ محمود عبد العزيز محرم
٤٤	ابن سبعين والامبراطور فردريك	التحرير
٤٦	جبريل يسأل ورسول الله يجيب	للأستاذ محمود شلبى
٥١	الأخاء والمسـاواة	للأستاذ عبد الرحمن سلامه العطار
٥٤	محمد : الرسالة والرسول (عرض وتحليل)	للأستاذ سعيد مـكرم
٥٨	محاسبة النفس عند الصوفية	للأستاذ محمد عيد الشافعي
٦٢	الإسلام والصحة	للأستاذ عبد المنصف محمود عبد الفتاح
٦٧	نور على نور	للأستاذ محمد على الطعمى
٧٠	رجال الصوفية	للأستاذ عبد العزيز سعد فرج
٧٣	حاجاتنا إلى الوعي الصوفى	للأستاذ محمد رشاد عطية
٧٥	فتـاوى وأحـكام	للأستاذ عبد المنصف محمود عبد الفتاح
٧٨	قصص صوفى	التحرير

مطابع دار القلم
بالقاهرة